خفقات أربعينية

خواطر نثرية

فاطمة بيروتيه

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع – مصر - بورسعيد

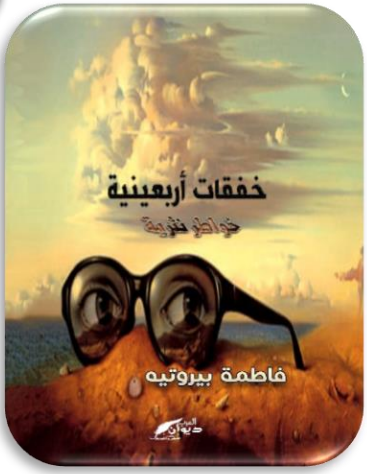

اسم العمل : خفقات أربعينية

اسم المؤلف : فاطمة بيروتيه

الجنسية : سوريا

التصنيف الأدبي : خواطر نثرية

الطبعة الأولى : ٢٠١٩

الترقيم الدولي : ٣ – ٠٤ - ٦٧٩٢ – ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الإيداع : ٢٧٣٠٧ / ٢٠١٩

تدقيق لغوي : نجاح السرطاوي

تصميم الغلاف : محمد وجيه

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : ٠٠٢٠١٢١١١٣٢٨٧٩

الإهداءُ

إلى أولادي:

عمر البضعة المتقدة في صدري

معاذ بصري وبصيرتي

آيات التي يوم ولدتها أدركت أن فضل الله كان عليّ عظيمًا

إلى علي أخي الوحيد الذي أتشهق محبته كأول نفس لطفل

بدأ حياته توًا ....

ولكم أنتم إلى كل من سيقرأ هذه الخواطر يومًا ما ....

فاطمة بيروتيه

****

التقديمُ

مذ كنت طفلة أحببت الكتابة، ولأني من أسرة محافظة أخفيت هذا الولـه في مكان ما داخل روحي وعقلي فالأحلام تحتاج أن تنضج وتأخذ وقتًا حتى نستطيع بلوغها وحلمي هذا لم ينضج بسهولة واحتاج لزمن طويل ليختمر ويصبح جاهزًا ...
حين نعيش في مجتمعات فقيرة تبدو الهموم أكثر وجعًا، فهي تحفر في أعماق الأرواح كدودة خشب قذرة سكنت أثاث منزل فخم ولم ينتبه أهل المنزل لوجودها تدمر الأثاث وهم ساهون غير منتبهين ... هكذا هي هموم الفقراء عميقة وغائرة في نفوسهم وحين تسألهم يجيبون الحمد لله .
هذا ماحاولت إلقاء الضوء عليه هنا ... بعض المعاناة ممزوجة بشيء من الرومانسية والخيال ...
ربما يحبها البعض وربما لا يحبها آخرون المهم أن كل حرف كتب هنا كان جزءًا من روح نزفت حبرًا...
أعترف لكم أني لم أنضج رغم سنوات عمري الثلاثة والأربعين، قد يبدو الكتاب الذي بين أيديكم كتابًا بسيط اللغة، باعتباري فاشلة تمامًا بتزويق الكلام وعاجزة عن استخدام التعابيرالمفخمة، المهم إن هذه الصفحات قد استغرقت سنوات حتى استطعت جمعها، وكنت قد فقدت النسخة الأولى لهذه الخواطر بسبب عطل في جهاز الحاسوب خاصتي، ثم عدت لكتابتها من جديد

مستعينة برؤوس الأقلام التي كنت احتفظت بها مسبقًا، فإن أعجبكم الكتاب فالفضل بداية لله، وإن لم يعجبكم فساموحني ....

****

لهيبُ الكتابةِ

إن الحبر نار تشعل ما بين الصدور، فكيف لا نكتب حين تجتاحنا موجات الحزن والوجع كما يجتاح بركان ثائر أرضًا خضراء نضرة، فيأتي على ما بها من جمال وبهاء، تغدو بورًا تحتاج قرنًا من الزمان لتعود لأبهتها.

ما هذه الأرواح ؟!

كيف تعلمت أن تستلذ بالوجع فلا يشفيها منه سوى هذه الحروف ؟!

كيف لا نكتب حين تطرق ذاكرتنا ظلال من رحلوا، وتنبه أفكارنا ملامح ابتساماتهم فتحرض أناملنا لتعانق القلم بكل عذوبة ؟!

الكتابة نار تحرقنا فتخرج أرواحنا لتزور أماكن لا تستطيع أقدامنا أن توصلنا إليها تحلق بنا إلى الجنات حيث نصبح كفراشات خرجت من شرنقتها توًا، تطهرنا من درن العمر والعثرات، فنصبح كزهرة برية تفتحت في غفلة من الزمن، من ذا الذي يستطيع أن يدرك كيف تأخذنا هذه الحروف إلى عالمها المخملي، فتضحكنا

وتبكينا، تزين أحلامنا فيغدو القلب كعصفور صغير يرفرف بجناحين من نور.

****

قلمٌ و كاتبٌ

تسيطر عليّ كلماتي كسجان يحرس مجرمًا يخاف عليه الهرب ، المعاني نفسها تتكرر لا شيء يشبه انحدار اللغة ، تتدحرج ككرة بيد طفل صغير ، تصل إلى قاع الحقيقة ملطخة الثوب ، هزيلة الجسد ، لغتي قاموس من الأمنيات تحاول صعود جبل الثلج علها تأخذ بعض نقائه ، دائمًا تعود مكسّرة وهنة ، تحاول جرجرة ثوب قداستها الذي دنسته أفكار متخلفة ، قدّته من قبل ومزقته من دبر أفكار أوجدها زعماء العجب و متلصصون يدعون حرية الكلمة ، أنا تلك الفتاة الواقفة على قارعة الحرف ماسكة جدائل البلاغة أحاول فكها عليّ أحظى بشيء من كرم البديع ، كلماتي في سجني تدور كدوامة غزت رمال الصحراء، تبتلع كل فرحي وحزني وأحلامي، أتوه بين سطورها كنقطة تبحث عن آخر الجملة ، أحاول أن أخرج منها كفاصلة بين جملتي عاشق أو كنقطتين تفصلان بين القائل والمقول ، أيتها اللغة يا سجني العذب

لا تتركيني أخاف الضياع في بحور الشعر وأنا مازلت لا أتقن فن السباحة بين الكلمات .

القلم مادته الأولية بعض أحلام معجونة بأمنيات تآكلت بفعل الركن وعدم الاستعمال لا لأنك أهملتها فقط ولكن لأنك نسيتها منذ زمن، هذه الأحلام التي صدئت والأماني المنسية تواطأت عليك ككاتب وأجبرتك مرغمًا أن تبحث عن عقلك الذي خبأت به أوراقك ورتبتها بتناسق تام داخله الرف الأول للأولاد والثاني للزوج والثالث للأهل والرابع ل .... والخامس ل .... والسادس ل.... أنت الآن في قمة التماهي والاندماج والرضى عن ذاتك ولكن ومن غير سابق إنذار يفاجئك رف فارغ في أعلى مكتبتك العقلية رف ممتلئ بالغبار لا ترتيب لا أناقة لا نظافة يدهشك وجوده هناك تتساءل باستغراب لِمَ هو هنا ؟!

تفكر... تحاول معرفة لِمَ هذا الرف هنا؟

لِمَ هو فارغ؟

لا أوامر ولا نواهي ولا واجبات!

هو يجلس راضخًا مستكينًا لا يزوره أحد ولا يستفقد غيابه صديق حتى ذاكرتك وعقلك القريبين منه جدًا لم يسعفاك لتتعرف لمَ وضعته هنا،
يهيأ لك أنه يشكو كبر السن، التجاعيد تأكل وجهه فلا تبدو ملامحه واضحة لتساعد جوارحك على تذكره
مكفهرًا كرجل فقد إحدى أصابع يديه وهو يعصر التفاح لزوجته الخائنة، أو كمومس أجهضت من حمل حرام
بعد تدقيق وتمحيص تفاجأ بوجود هذه الورقة البيضاء عليه ما تأثرت بكل ذلك الغبار ولم يصفر وجهها بل بقيت نضرة كصبية في مقتبل العمر أهداها حبيبها وردة حمراء في يوم ربيعي مشمس.
القلم في يدك أغرته هذه الورقة كثيرًا ربما لأنها لا تشبهه في شيء وتختلف كثيرًا عن مادة صنعه، الورقة تنظر إليه بشوق وتفكر ترى ماذا سيكتب كيف سيخط حرفه فوق وجنتي الورديتين هل سيكتب شعرًا أم نثرًا جميلًا ؟ قصيدة مدح أم شوق ترى كيف سيكون ملمس رأسه فوق سطوري هل هو حنون أم قاسٍ سيجرح بشرتي الناعمة، هل حبره من النوع الفاخر أم الرديء؟
تعود لرشدك لتترك لقلمك الخيار فيكتب:

-الخيبات لا تكتب
الخيبات لا تكتب
الخيبات لا تكتب –
تنزف شفتا الورقة وتتذكر أن هذا الرف كان لأمنياتك
وأحلامك التي صنع منها هذا القلم

القلم أيضا يحزن ألا تراه حين يشتد وجعك إما ينزف
بغزارة أو تصيبه حالة من الجفاف الذي يجعل الورقة
كصحراء جف ماؤها منذ زمن
القلم ذلك الرفيق الذي لا يعرف الخيانة والخداع
ينسجك فيملأ صفحات دفترك بك يراقبك بدقة
ويسجلك كما عدسة فنان بارع
صحيح أنه يحجزك في بضعة أسطر وكلمات ولكنه كثيرًا
ما يبقي تلك الهالة من الأنا الهادئة تتجول مزهوة حين
تخط آخر أفكارك.

القلم يصمت حين تهرب الحروف رغم أن الفكرة تدور
في فلك دماغك كسفينة فضائية تبحث عن مكان آمن

لتهبط ثم ينفلت دفعة واحدة حتى أنك حين تنهي ما
تكتب تسأل نفسك مرارًا أي يد خطت هذا
أمعقول إنها يدي؟؟

****

عشقُ كاتبٍ

في الواقع أن تعشقي كاتبًا هذا يجعلك تدورين حول الشمس، تقتربين وتبتعدين وفق ما تقتضي أحوال أبطال رواياته فتشتعلين حين تشتد الأحداث وتسكنين للمشاهد الرومانسية، تتقمصين سمات الفرح فيما الحزن يغمرك تمامًا، ترتدين ثوب الأمل أيامًا، وينتابك اليأس أيامًا أخرى فتتمتمين في سرك: من أنا يا ترى؟ هل أنا شخص مألوف أم أحد شخوص روايته الأخيرة التي التصقت به وأبت الرحيل؟

أن تعشقي كاتبًا يعني أن تكوني بيضاء كقطعة سكر تذوب في فنجانه بمجرد حركة ... تنزعين قلمهُ فيتحرك عالمٌ من البشر والطبيعة، لكن تذكري دائمًا أن أية قطعة سكر تذوب حتمًا ستترك نكهتها اللذيذة في الفم ليس أكثر، فالسكر لا يغني من جوع كما تعلمين ...

وربما تكونين صفحته التي يدوّن فوق سطورها المنحى المنطقي والفلسفي، أو ربما الدراماتيكي لشخوصه، فهو يجدك ملهمة له فيرسم خطوط الأحداث والعقد النفسية

والاجتماعية للشخصيات فتحمّلي نزق الحوار وتبدلات الظروف والأحداث لتلك الشخصيات، وإياك أن تطالبيه بما لا يريد، فهو دائمًا يحركُ عالمهُ بأصابعه، لن يسمح لنجمة صغيرة مثلك بالمساس بأقماره ... ربما كنتِ تعشقين أصابعه ... هاتفه المحمول ... علبة سجائره ... الروايات المصفوفة خلف كرسيه .. أو تغارين من كتب الأدب والفلسفة ... من نظّاراته، أو حتى حاسوبه الذي يقضي نصف نهاره وهو يداعب أزراره وتسألين نفسك في اليوم الواحد ألف مرة كيف تتحمل هذه الأزرار لمساته ولا تذوب؟ بلا أدنى شك تتمنين أحيانًا أن تكوني شاشة ذلك المحمول أيّا كان نوعه ما دام سند ملكيته عائدًا إليه، علك تحظين بتلك النظرة المقدسة في عينيه ثم تلمحين دخان تلك السيجارة يتطاير من شفتيه، فتشمينَ رائحة الحريق تخرج من أصابع يديك فالكاتب يا سيدتي يعرف الحبّ جيدًا أكثر من كل رجال الكون ... يعرفه ... يكتب عنه ... يحياه ... يضع علاجًا لكل مشاكله ... وهو يستطيع أن يجعل نهاية أية قصة حب ممتعة جدًا كما يستطع أن يجعلها مأساوية جدًا لكنه أبدًا لا يعرف أن يكون مُحبًا !

قدسَ اللهُ سركِ

بارك الله فيكِ قالها وهو يخفي وقاره الملتهب كانت أصابعه تلمس حبات سبحته فيتقلب فؤادي على جمر من اللهب، أنامله خفيفة الحركة تلمس السبحة فتتحرك حباتها بغنج كعروس ما لمسها سوى عشيقها الأول فيتقد صدري كطفل لدغته أفعى ، يلمس سبحته وكأنه قاصد أن يشعل فتيل قلبي ، فلا يراعي فيّ خاطرًا ولا إحساسًا، خاطبته أيها الوقور رفقًا بقلب أهلكته سبحة عابد، وسرقت نومه ترنيمة ساجد، رويدك وانظر بحالي لا تتجاهل رفرفة الروح ورغبتها في الحياة فالعبادة حياتك الأخرى ، وأنا حياتك الدنيا ، وقديمًا قالوا (اعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا و اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا) فمع كل تسبيحة يهفو القلب نحو قبلته ، وقلبك ثابت نحو قبلته ، لا يحيد عنها قيد أنملة ولا يلتفت نحوي طرفة عين ، قدس الله سرك أيها المهور بالنور، يا من جبلت بالمسك، فرفعت حيث المكان القصي في قلبي، تقدست ألقابك يا سيدي ومولاي ومليكي ، تقدست

همساتك وعيناك وروحك ، تقدس الشهد الهاطل من جبينك، الحكمة التي تزين هيبتك ، وذلك البياض الذي كسا سوالفك وغرتك ، تقدست أيها الممتلئ بكل شيء ، متى تمتلئ بي كما امتلأت كريات دمي البيضاء بطهرك فبت عاجزة عن إسكات تلك المضغة الصغيرة في جسدي ، هي ارتفعت بك حيث يليق بشموخ حضورك ،و ما لبثت تتقد كلما سمعت تسبيحك، سبحان الله ، فأردد سبحان من سواك فعدلك ، الحمد لله ، حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا لمن أهداك هذا البهاء ، لاإله إلا الله ، ما أكرمه من إله حين كونك في رحم أمك لتعاني مخاض ولادتك ثم تهديك لي ، أمك هذه تستحق ألف قبلة على جبينها ... ومع هذا ليتني من توجعت بك وخضت مخاضك إذن لارتحت من الشغف والوله والحنين ، قدس الله سرك أيها النور الجليل حين تنادي بارك الله فيكِ ، فتهطل الرحمات مع اهتزازات الهواء القادم من صوبك ، ويهطل صوتك على مسامعي كهطول المطر على صحراء يملأ أخاديدها وينعش ما جف منها ، قدس الله سرك حين يمر نسيم لهفتك فيوقظ ما بقي من رماد الروح

أملُ حياتي

وضعت رأسها فوق وسادتها لعلها تستريح من عبء نهارها الممتلئ بالضجيج ، أخذت تتأمل سقف الغرفة وتنظر إليه بشغف حتى أنها غابت عن الوعي كانت تفكر بقلم حبر اشترته منذ قليل ... مخادع هذا الحبر يعاند أصابعها التي تنقر فوق لوحة المفاتيح ، يحاور حروفها يهمس لها إن هذه الروح التي تحرك تلك الأصابع ستكتب عن رجل من نار تحول إلى رماد ، عقيدته الراسخة أن الجمر إن تحول إلى رماد لا فائدة منه، يتجاهل دائمًا أن الرماد يضم الجمر ويحاول المحافظة على اشتعاله حتى يفنى، الحبر يحاول أن يقنع لوحة المفاتيح بالتخلي عن رشاقتها في طباعة الحروف ، حروفها التي اعتادت الوجبات الدسمة والجرعات المكثفة من المعاني تثاقلت ... تبًا لهم ، جميعهم متآمرين عليها ... الحبر ، لوحة المفاتيح ، المعاني و الأفكار .... كانت تحتاج تحريضًا للحرف ، شيء يجبر عقلها وحواسها للتركيز على شيء آخر غير تلك الصورة التي بعثها بعد غياب طويل ، كانت أصابعه تعانق

قلمًا ، وعيناه محدقتان بورقة بيضاء أمامه ، على الأغلب كان غارقًا في حل مسألة كيميائية ، أو ربما كان يكتب بيتين موزونين من الشعر، لا ربما كان كاتبًا روائيًا يرنو إلى شخصياته بشغف، أو رياضيًا يحاول حل مسألة استعصت عليه، كل ما كان يزعجها أن تلك الصورة لم تحمل نظرة موجهة إليها هي التي كانت أمامه تتأمل ملامحه بكل تفاصيلها، تيبست أصابعها فجأة حين ترافق وجود الصورة أمام ناظريها بأغنية لأم كلثوم كانا يسمعانها معًا .... كم رددها كثيرًا، وطالما وقف الليل عندها لم ينتهِ، كان يمسك يدها وهما على شاطئ البحر يصغيان إليها (أمل حياتي يا حب غالي ما ينتهش يا أحلى غنوة سمعها قلبي ما تتنسيش) ... كم تأملت النجوم ولم تجرؤ حينها حتى على النظر في عينيه ، تحاول اختلاق أي فكرة أو موضوع بعيدًا عن أنه من الممكن أن تُفك أصابعهما المتشابكة أوأن يهم بالرحيل ليعلن نهاية الحلم، ولكنها تلتفت إليه حين تقول المطربة (خود عمري كلو بس النهادرا خليني عيش)

كان قلبها بل الكون جميعه يرتجف حين تلفظ المغنية المقطع التالي وتقوم بإعادته عشرات المرات في قلبها و

تنظر في عينيه تتمنى أن تتغلغل داخلهما كدمعة تأبى السقوط ... تشد على كف يده اليسرى تلمس أطراف أصابعه فتشعر بها باردة كالثلج وتلاحظ ارتفاع وهبوط صدره وكأنه مرجل يغلي ، يعلو جبينه نور، وعيناه تصدران أشعة تخترق برودة الجو وهدير قلبها لتسكن داخلها وتستقر فتشعل في جوفها نارًا لايمكن أن يطفئها سوى خمر تنبت من شفتيه ، يهمس في أذنها وجنتاك حبتان من المشمش ما أشهاهما عيناك تسافران بي نحو مجهول لا أدركه أبدًا ، وثغرك غابة من التوت ما أحلاه ، منذ ذلك اليوم عشقت وجهها وعينيها وابتسامتها حين رأت نفسها في عينيه امرأة مزهوة بعطره ... كانت هي وحدها تميز ذلك العطر وتحتفظ بخلطته السحرية تمتمت في أذن طيف مر بالقرب منها أتذكر ... أشتاق قيلولتك ومواعيدك الدقيقة صلاة العصر ، والنور الذي كان يزين وجهي عند إشراقتك، أيعقل أنك لم تستطع أن تفي بوعد بسيط كهذا، (طلبٌ كانت تردده هذه المطربة) وكنت أشتهي أن تقدمه لي كان خارجًا من أعماق روحي ليتوسل روحك ليتك احترمته كما كنت تحترم كل وعودك لماذا نكثت هذا العهد ، لماذا وأنت تعلم أن لا سكينة

تؤثر على هذه الروح سوى تلك التي تخرج معطرة
بأنفاسك، لا أدري كيف نسيت رجائي الذي طالما كررته
على مسامعك كل ليلة (خليني جنبك خليني بحضن قلبك
دفيني ... وسبني أحلم بك سبني ياريت زماني مايصحنيش
...) ولكنك لم تدعني بقربك كما أن الزمان لم يقبل أبدًا
أن يتركني في حلمي أسبح ، وعندما صحت من نومها
كانت فزعة من صوت بكائها، مدهوشة من بلل وسادتها.

****

الظلُّ

الظل يراقب من بعيد ، يتأمل ملامح بنفسجة أرهقها الانتظار ، إنه يأبى المغادرة يلازم تلك الزهرة كعودها الذي يحملها مذ كانت برعمًا ، يحميها من المتلصصين كأشواكها ،ينظر إليها بشغف طفل للعبة بقي طويلًا يحلم بالحصول عليها في حزنها يكفكف دمعها وفي فرحها يراقص نبضها ، كان الظل يبتسم ويمطرها نورًا في عتمة أيامها ، يأخذ من زاوية الروح مسكنًا له ، يواجه قلبها ... قلبها الذي كلما انحرفت بوصلته نحو حقيقة أن مقعده الذي وضعه أمام سريرها مذ كانت نطفة في رحم الغيب يجلس عليه ظله كل ليلة ليحرسها من زوار الحلم المعاقين أولئك الذين لم يتعلموا كيف تحترم الأحلام ، أولئك الذين يتعاملون مع الحلم الجميل كما يتعاملون مع الوجبات السريعة ، تختفي متعة تلك الوجبات بمجرد الشبع ويبقى تأثيرها السلبي زمانًا ، في الواقع إنه ظل مخلص ما استطاعت عادات القبيلة أن تحرفه عن هدفه ، ولا أثرت عليه قوانين وضعية تمنع البشر من حرية

الحلم ، إنه ظل لا يشبه أحدًا ، ظل ثابت على موقفه وفيٌ لوعوده ، يسامرها كل ليلة يهديها ألحانًا تحيا بها روحها المتعبة يودعها دائمًا عند الفجر، يهمس لها: الفجر لا ظل له ، يقبلها ويرحل كما فعل صاحبه ذات ليلة ، وهي تقضي النهار في شوق لليل جديد.

****

حلمٌ في مخيمٍ

وسط الغبار الذي انتشر فملأ الجو شحوبًا وقف يراقب ما يدور حوله بدقة متناهية، ظل بريق الدهشة مرتسمًا في عينيه بحيث فقد بصيرته، عقله كحلوى غزل البنات منفوش، لكنه لا يسمن ولا يغني من جوع، في تلك الصحراء الواسعة الخيارات محدودة جدًا، فكر بتمعن، ماذا أصنع...؟ وكيف أرقّع ما تفتق من ذاكرتي؟ أشاح ببصره للجهة اليسرى فلمح طيفًا يخترق الغبار الكثيف أشرقت علامة الرضا على ملامحه، المنهكة وفوق جبينه المجعد لثوانٍ ، ولأنه لم يحظَ بمثل هذه الثواني منذ زمن أرادها أن تطول وتطول علّها تبلغ سنين بعدد سنوات عمره الماضية، كانت هذه الثواني بالنسبة له عمرًا آخر أغرته بالذهاب إلى هناك حيث ترك ماله والكثير الكثير من ذكرياته وأحبته الذين لا يذكر منهم اليوم سوى الأشلاء التي جمعها ليدفنها مع بعضها وذلك ليسرع بالهرب خوفًا من قصف جديد ، ولكن ما يعكر صفو مزاجه حقًا إنه لم يدفن رأس ابنه لم يعثر عليه رغم بحثه الطويل الذي استمر

لأيام ، هُيِّئَ له أن ابنته التي ضلت طريقها في زحام النزوح ربما تشق سحب العجاج وتسير نحوه فاتحة ذراعيها ،أشرقت شفتاه بابتسامة باهتة يغمرها الخجل ،ثم غض الطرف مخاطبًا نفسه (ما هذا الهراء؟؟ لقد دفنتها بيديك هاتين حين جاؤوا بها على مشارف القرية، هل يبعث هذا العجاج الأرواح من جديد ؟! أم أنك قاربت على الجنون؟!

أدار جسده المرهق للناحية الأخرى فإذا بصوت يشق الغبار مناديًا: أبي يا أبي، حرك قدميه المتثاقلتين يريد أن يجري خلف الصوت لو لا صوت أمه تصرخ ... تناديه: إلى أين يا بني؟

التفت إليها حدق في عينيها ثم قال بصوت مرتجف يشوبه الحزن:

(إنه ولدي يا أماه، ها هو يناديني)

تقف بين جفني الأم دمعة...

يطغى على حدقتيها الباهتتين بريق ممزوج بالأسى ...

تخرج من أعماقها آه خافتة ممزوجة بعجز وحنين ...

ينظر إليها مستغربًا، أمي لم أدفن منه سوى يده ربما هو مازال حيًّا واستهدى إلي.استمرت بالتحديق به ولكن

هذه المرة هطل الوجع من عينيها كشلال هادر، صمت لسانها واختنق صوتها لكن عينيها عجزت عن الصمت، حين تأمل عينيها جيدًا فهم ما قصدت أن تخبره إياه حين نادته، وبدا كأنه صحا من غيبوبته...
تمتم هذا العجاج غبي يخفي خلفه جميع أحبتي، اتكأ على سارية الخيمة محاولًا أن يغمر عينيه بكفيه ويصرخ يا ليتني أفقد الذاكرة.

****

عنوسةٌ

كان الجو ربيعيًا، الطبيعة تشهد ولادة جديدة ، السماء صافية كوجه حسناء في يوم زفافها ، الشمس ترسل أشعتها الذهبية لتتغلغل في التراب فتطهره كما يطهر الطبيب جرحًا نازفًا أثر ضربة منجل ، أصوات العصافير تثير شغب الأغصان فتعزف مع صوت خرير الماء أجمل سيمفونية ، كل شيء يوحي بالتفاؤل والأمل ، غير أنها كانت تفتش داخل حجرتها عن صوت يخبرها أنها ماتزال حية ، حتى الأموات يستطيعون التمتع بجمال الطبيعة ، فلمَ أغلق بابي وأخاف الناس التفتت إلى مضغة ساكنة في أحشائها ،أخذت تتلمس جسدها ببطء ، هذا شعري مازال بهيًا متماسكًا محافظًا على لونه لم تؤثر في جماله سنوات مرت عليه بعدد نجوم السماء ، وهذه كفاي مازالتا قويتين قادرتين على العمل والفلاحة والبذر والحصاد ، ما أزال قادرة على تصفيف التربة وتنسيق الزرع فوقها وداخلها كما ترتب مدربة الموسيقا فرقة من المحترفين ... ترفع يدها فوق خديها تلمسهما بعطف إن التجاعيد لم

تؤثر فيهما إلا كما تؤثر الجداول الصغيرة على أرض معطاءة فتزيدها خيرًا وبركة ، شفتاي تملكان لون التوت البري ... وقدماي قادرتنا على الرقص كما أني أغني للورود في بستاني وأرتب أغصان الأشجار ، وأنا أداعب النسمات الصيفية ورياح الشتاء صديقتي ، روحي قوية كشجرة السنديان ، وعودي منتصب كالحور ، إذن لم حين يحل الظلام أتذكر قول إحداهن مسكينة إنها عانس ....

****

مساواةٌ

تستيقظ صباحًا مع أذان الفجر تقف أمام المرآة متأملة بهاء أنوثتها عينيها الحالمتين، شعرها المسدل فوق كتفيها كشلال هادر، جسدها المرهق ... تبتسم للمرآة وتهمس في سرها مازلتُ جميلة مازال البهاء يقطر من جسدي، تلملم شعرها تقطب حاجبيها، وتخلع رداء أنوثتها لترتدي رداء آخر، رداء طالما أخفت خلفه جميع أمنياتها وأحلامها ... رداء ألبسها إياه والدها مذ كانت طفلة ، حمرة الخدين عيب، واللون الوردي للشفتين جرم، والنهدان خطيئة، أخفي كل هذا وانطلقي ...

إلى أين يا أبي ؟!

إلى مجتمع يرفض الاعتراف بإنسانيتي لمجتمع لا يعتبر أن لي ماهية وكينونة مختلفة عن جنس الرجال، علي الاهتمام به وفهم قوانينه واللعب على أوتار العيب والحلال والحرام فيه.

إلى من يا أبي ؟!

إلى من يتوهم بأن تخصيص يوم للمرأة يجعلها في مصاف النجوم.... ؟!

إلى من يرى الرجل شمعة مضيئة يجب الاعتناء به، والاهتمام برضاه من أوامر الخالق ويراني خادمة تطيع رغباته وتنفذ أوامره وتتحمل نزواته ...

كيف يا أبي أنطلق وأنا مصفدة بعادة القبيلة وحكم العشيرة المدعم بحكم القانون.

القانون يا أبي لا علاقة له إن غفل حراس الأخلاق وانطلقت الكلاب المسعورة في الليالي الباردات تنهش لحومًا لم يعطها القانون حقها لعدم اكتفاء الأدلة

سأرفع قضيتي لمحكمة عادلة وأقدم أوراقًا تثبت أني أنثى النور، أنثى من زمرد، امتزج في داخلي النور والنار، ستكون أنت الشاهد الأول لولادتي الجديدة وإن رفضت الدعوة سأعود لأضفر شعري ... أقصه ... وأهديه لكلاب الليل معترفة لهم أن قانونهم هو الفائز

وسأذهب معك يا أبي شابكة يدي بيديك لترمي بي نحو المساواة التي جعلتني رجلًا في النهار ولعبة مكسورة الرأس ليلًا

خذني يا أبي إلى رجل لا يشبهك سوى بأسماء أعضائه التناسلية لأكون رفيقته نهارًا والمكب الذي يرمي به نفاياته ليلًا

****

صخرةٌ

هذه المياه سكنت وركدت لم يعد يؤثر فيها غزل مصطنع وحرف متواتر، باتت أعذارك واهية بالية، فقط ليتك تصمت إني مللت السماع، متى ستدرك أن الصخر العاشق لا يعنيه أبدًا تفتت ذراته حين يضربه الموج بقوة حتى لو توهمَ أنهُ يطبع بذلك قبلاتهُ العاصفة فوق جسده الأصم؟ فكف عن اعتذاراتك وانظر هناك فوق تلك الصخرة... أتذكر ذلك العاشق الذي بللته تلك الأمواج حين كان ينظر إلى الأفق البعيد علّ حورية البحر تمسك بيده وتأخذه إلى عالم من السحر والجمال؟
أتذكر يومها كيف منحت الحورية قلبك ووهبتها الوعود المقدسة أنها ستبقى نجمتك؟ استرجع المشهد جيدًا ... حاول أن تستجلي خفاياه...ألمحك هناك أو ألمحني خارجة من البحر مثقلة بك، حين رأيتك للمرة الأولى أشرقت أنوار روحي وبدأت النوارس بالرقص، كيف جعلت ماء البحر بهذه العذوبة يومها؟ كانت نجمات البحر تغني على أنغام قلبي، والشمس تسرق دفئها من أضلعي، كيف

سمحتُ لك بالتغلغل في ثنايا جسدي كفيروس لا يمكن الشفاء منه ووهبتك قيمة أعلى من قيمة السماء ومعنى أبهى من معاني العشق؟ كلما حاولت استرداد حلمي وإقناع نفسي أن الذي أمامي رجل آخر لا علاقة له بذلك الذي قابلته عند الصخرة أرجعتني لواقعك لا أفهم سبب صبري على رجل مثلك قاسٍ قلبهُ...غبية ملامحهُ... متعجرفٌ كطاووسٍ يفرد ريشهُ كلما سمع كلمة ثناء من عابر يعجبه زهو ألوانه، وإذا ملّ استعرض مهاراته وأفردَ ريشه ليحظى بعدد أكبر من إناث ناقصات عقل وفهم ، وأنا الأنثى التي كنت دائمًا أتعطر بك، وأرتل حروف اسمك بقداسة وطهر ، كيف استطعتَ اليوم تدنيس تلك اللوحة الفنية التي رسمتها لك في ذاكرتي؟ كيف من الممكن أن تقتلني بذلك البرود كله وأبقى محتفظة بملامح عشقك داخلي؟ هل من المعقول أن ما بنيناه معًا عبر السنين التي مرت كان مجرد وهم؟ هل كان الحلم الذي قضيت عمري أنجزهُ برفقتك مجرد قصر بني على الرمال لم يصمد أمام عواصف الإغراء والتحلل الذي غزا مجتمعًا كاملًا؟ ولكن لا بأس فأنا أنثى الماء أملك انسيابه حين يجري فوق السهول ووسط الأغوار والوديان، وقوته حين

يتساقط من فوق التلال مشكلًا شلالًا هادرًا جبارًا لا يوقفه شيء ، فتمادى بغيك كيف شئت وتذكر حين يقتلك الحنين لن يلوح لك في الأفق سوى قلبي الذي ما عاد يعنيه توجعك.

****

يومُ الزفافِ

الضوء المنبعث من زجاج النافذة المكسورة يداعب أجفانها وبرد الصباح يلفح وجهها فتصاب بقشعريرة، الكون حولها صامت لا ضجيج سوى نبض قلبها، وهمس قديم يتوالى تباعًا ينساب برقة بين حنايا روحها المتعبة ليستقر في زاوية ما من الذاكرة... الوقت يمشي كسلحفاة عجوز يثقل كاهلها فتتنهد وكأنها في معركة حامية الوطيس يلح عليها سؤال لم تكن تريد أن تتذكر إجابته. جال نظرها في أرجاء البيت الذي قضت بين جدرانه أربعة وعشرين عامًا من حياتها وتحتفظ في كل زاوية منه بلحظة من لحظات عمرها... ذكريات طفولتها... ألعابها التي رتبتها بإتقان... دفاترها القديمة... ضحكاتها. أحزانها تلك الحميمية التي يشعر بها المرء بين الجدران التي احتضنت طفولته وشبابه ليس من السهل أن ينساها أو يتخلى عنها... أيقظها من شرودها صوت أمها القادم من غرفة المعيشة:

اليوم زفاف ابنتنا يا رجل "فك التكشيرة شوي" من أجل طفلتنا على الأقل... لم تنس أن ذلك الرجل كان دائمًا مقطبًا حاجبيه إن ابتسم يظن الجميع أن هنالك معجزة ما حدثت وبدأت تسمع خطواته وهو يقترب نحو غرفتها وكلما اقترب خطوة شعرت برهبة كبيرة وزاد تنفسها صعوبة.. فتح باب الغرفة نظرت إليه فانفرجت شفتاه عن ابتسامة حانية جلس بقربها وأخذ يمرر يده على شعرها الطويل المنسدل ويراقب عينيها الحائرتين بفراسة ثم بدأ الحديث بكلمات كثيرة ولكنها لم تعر أية أهمية لحروفه ومواعظه... مرت أكثر من ساعة وهو يشرح لها أنها ستنتقل إلى مرحلة جديدة في حياتها ... الزوج والواجبات نحو البيت الجديد وأهل الزوج وغيرها لم يهمل شيئًا إلا أن يعلمها مالها من حقوق ضمن هذه الحياة التي تقبل عليها... كانت ترد على كل فكرة بأن ترفع رأسها وتخفضه وهي تتأمل عيني والدها.. غادرت عقلها تلك المواعظ وذهب خيالها إلى هناك حيث كانت أشعة الشمس الذهبية تهدي وجهها لونه الوردي فما كان يميز الناظر إليها أهي بسبب مسحوق تجميل أحمر اللون أم سمة طبيعية في وجهها... راودتها صورة ذلك الشاب الذي يشبه الصباح في

إشراقته... كانت ابتسامته أروع من نجوم السماء... همسه الرقيق الناعم الذي كان يسرق الوقت ليُسمعها: أحبك يا فتاة ولن تفرقنا عادات القبيلة ولن أخاف من عصبتك مهما قالوا لن أقبل أن يُسرق حلمي بعصفورة أحيا حين أسمع صوت تغريدها ويرقص الكون بنظرة من عينيها كان كل شيء أجمل.. الدنيا فسيحة والبساتين الخضراء وأشجار التفاح والزيتون التي كانت شاهدًا على حبها وعشقها المجنون له... في كثير من الأوقات كانت ترسم عينيه على الغيم وشفتيهُ تغنيهما قصيدة عشق أبدي... اليوم هي تزف لغيره رغم أنها لم تنس تفاصيل ملامحه... شاب طويل القامة ذو عينين حادتين كان قد أخذ لونهما من أشجار الزيتون أما بشرته فكانت كما لون السنابل حين تسويها شمس الصيف ولكن أكثر ما تذكره ذلك البريق المنبعث منهما كلما رآها قادمة من بعيد فتشعر بمقدار حبه وشغفه بها لم تكن تمل النظر إليهما.. كم كانت تبدو رائعة وهي محتبئة بين رمشيه و يديه الدافئتين اللتين كانتا دائمًا تحيط بها في الزحام لتمنع أي رجل من لمسها... وتلك الساعات التي كان يقضيها وهو يتأمل جمال عينيها وابتسامتها الساحرة... لم يكن هناك

كلام ليقال "إيه كان حلمًا جميلًا" تمتمت ..وَرَدها لواقعها كلام والدها: صغيرتي لا تنسي ما قلته لك.. ونظرت إليه بحيرة انتبه والدها لشرودها وتغير لونها فنهض واقفًا: "سأخبر أختك أن تأتي لتساعدك في إتمام استعدادك للحفل" دخلت أختها الغرفة فلمحت الدموع تزين خديها ضمتها بحنان: لا بأس عليك حبيبتي تعالي فهذا الفستان حلم جميع الفتيات ولو تأخرت قليلًا في الحصول على عريس لأطلقوا عليك لقب عانس مثلما يفعلون بي رمقت أختها بنظرة تملؤها الدهشة وهي ترتدي فستان زفافها الأبيض اقتربت منها وهمست بصمت: مَن قال إنه حلم جميع الفتيات؟ يوم الزفاف هو مجرد انتقال من سجن لتابوت هل أنا الوحيدة التي أرى الزواج نهاية طبيعية لأحلام وآمال كل فتاة؟ ثم تابعت من المستغرب أن تنهي الفتاة أيام سعادتها في وقت مبكر وتركض بفرح وسرور لتدخل سجنًا لا تعلم كيف سيكون سجّانه!

****

إلى زوج ٢

إلى زوجي الثاني: لا تنظر إليّ مبتسمًا هكذا، أعلم أن زوجتك الأولى وأولادك يأخذون الكثير من وقتك وجهدك، وأنا التي تزوجتني سرًا لا ينالني منك سوى اليسير من الوقت حتى أنه لا يتسنى لي أن أخبرك كم أعشقك، كم أحب تأمل خطواتك وأنت تقبل نحوي في الليالي الباردة هذا الوابل من الدفء الذي ينهمر منك كانهمار المطر على أرض أصابها قحط منذ دهر يأسر روحي، لا تغضب فأنا أكتب هنا ما لا أستطيع أن أخبرك به في ازدحام وقتك وسرعة الحياة من حولك ... أنا امرأة بائسة هكذا أخبرتني العرافة يوم كنتُ مع زوجي الأول ، قالت إنه سيموت مية جاهلية، أخذته الحرب....

لم يكن يملك وسامتك، ولم يكن قلبي ليخفق له كما يفعل اليوم لك، ولكنه كان يمنحني الكثير من وقته ليخبرني أن أيامي بصحبته معدودة وألعن تلك العرافة في كل صباح .. لقد مات ... ربما لم يكن يجب عليه تصديقها لهذه الدرجة أو ربما هذا من حسن حظي

لأحظى بك أنت، نعم أنت فرغم قلة الوقت الذي تمنحني إياه لكني أعتبرهُ وقتًا مهمًا جدًا أهيئ خلاله جميع طاقاتي ومواهب أنوثتي علني أحظى بنظرة رضا من عينيك أو كلمة حب وشوق تخرج من شفتيك المطبقتين لا أدري على ماذا، كم أشتهي أن تنسى الحروب والمعارك الدائرة حولنا حين تراني .. أنا لا يعنيني مَن قطع رأس مَن ومَن أحرق مَن ما دمتَ أنت على قيد الحياة ..... ما رأيته خلال هذه السنوات جعلني فاقدة الحس ... أظن هذا ما تفكر به حين أبدأ حديثي عن العشق والعواطف، نسيتُ أن أخبرك يا سيدي أن زوجي الذي قتلته هذه الحرب كان يبحث عن طعام لأولادي الجياع وأخوهُ استشهد على جبهة القتال أما ابن عمي فقد كان يقف عند محطة الوقود حينما أصابته شظية من صاروخ سقط ليس بعيدًا ، وأنا .. نعم أنا التي تحدثك عن العشق والهوى حمدتُ الله ألف مرة أني استطعت يوم النزوح أن أحمي ولدي بجسدي، ربما تتحدث عن حروب شاهدتها من خلال التلفاز ونشرات الأخبار أو قرأت عنها في الصحف ،أما أنا فقد عشتها بكل تفاصيلها بكل ما تحمله من ألم ووجع ... رأيتُ التوابيت التي يأتون بها ممتلئة بجثث مقطعة ورأيت

الرجال كيف يتساقطون كالنمل تحت زخات الرصاص ، سمعتُ عن أطفال شاهدوا والديهم يحترقون أمام أعينهم وحدثتني قريبة لي كيف أنها تحاول أن تسكت أولادها بوجبة طعام واحدة خلال اليوم ، سمعتُ عن أم فقدت أكبر أبنائها وعن تلك التي ماتت قهرًا عند فقدها ولدين، رأيتُ الرجال يبكون قهرًا وخوفًا ..... ولكن كل هذا لم يمنعني أن أحبك وأنتظر أن تسرق من وقتك بضعًا من اللحظات لتسعد أرملة أصبحت اليوم زوجتك ترى من خلال عينيك أن الدنيا تستحق أن نحياها.

****

قارئةُ الكفِّ

كان الجو جميلًا صوت الموج الذي يتهادى على الشاطئ برفق، نسمات الخريف التي كانت تتسلل إلى جسدي فتنعش روحي وتمنحني سعادة كنت أبحث عنها في ذلك المكان فأعيش أحلام طفولتي وطيش شبابي مع كل خطوة أخطوها، أيقظني من شرودي صوت قارئة الكف كانت تجلس هناك على المقعد الصغير، نادتني يا حلوة أيتها الجميلة ...بمئة ليرة فقط أبصّر لك أعرف ما سيكون في مستقبلك ..يا حلوة ؟!

عدت أدراجي محاولة إخفاء ما انتابني من ضحك ....

-من منكن قالت يا حلوتي؟ خذي المائة ليرة ولا أريد أن تبصري لي ... تركتها وتابعت مسيري وهي تحدق بي متفاجئة من ردت فعلي، أنا لا أعترف بالتبصير وقراءة الكف ولكني حقيقة خفت أن تلمح صورتك في عيني فتحسدني، قالت إنها تحمل بشارة جميلة لي ... لم تعلم أن أي بشارة لا تحمل نبأ قدومك هي بشارة كاذبة، ماذا لو أتيت الآن بكل سحرك وبهائك، ماذا لو لمست يدي

وأنت تبتسم وتعتذر عن جميع مشاغباتك ... ولكن لا كيف وأنت رجل تحمل في أعماقك قداسة الرهبان وكبرياء الملوك ....

أيها الملك تعالَ ليمتزج سحرك بسحر البحر وتهمس في أذني يا حوريتي فأوقن أنك لم تجرح أنوثتي ...

أنا امرأة ضعيفة أعترف لك، ابتسامة منك تكفي لتقلب دوران هذا الكون رأسًا على عقب، سأنسى خياناتك ورسائلك الغرامية لكل عشيقاتك، سأنسى أنك تستعمل جسدي بدل السند باج فأخرج من تحت يديك وقد كُحلت عيناي فبدتا أكبر حجمًا واكتست وجنتي بألوان عجزت عن إنتاجها أكبر شركات التجميل، فيظهر جسدي بعدها كزجاجة وقعت من الطابق العاشر.

أنسى أيضًا جميع الأسماء التي أطلقتها على غبية تافهه معقدة جاهلة ... ولكن لن أنسى أنك في لحظات ولهك تقول حبيبتي.

نعم أعطيتها المائة ليرة وأنا أدعو أن يجعلها الله في سبيل نظرة من عينيك يكرمني بها حين فراغك من شغلك ... حيث أكون أنثاك التي تمارس فوق روحها جميع عقدك الذكورية.

ليسَ الغبيُّ بسيدِ قومهِ

أتصنع الغباء وأشياء أخرى، مثل أن لا ابتسم حين المح نورًا قادمًا من بعيد يحمل ملامح وجهك، مخافة أن ترى المضغة الصغرى التي في صدري كيف تنبض بك، أن أنسى أن أضع تنوين النصب للمفعول به في نص أكتبه لك، راغبة بأن ابتكر حوارًا يوصلنا في نهايته لخلاف يليه عناق.

أتصنع الغباء كأن أنسى فستاني الأزرق معلقًا على حبل الغسيل فتأكل الشمس بعض أزرقه، أو أن أخبرك أن أحمر الشفاه ذو اللون الكرزي خاصتي قد كسرته طفلتنا حين كانت تحاول تقليدي هي تظن أني أستمد جمالي منه لا تدرك طفلتي أن سحري يكمن فيك ... أو أن أغير تسريحة شعري فأفك ضفائري وأقص شعري إلى أن يلامس عظمة كتفي فتغضب حينها كثيرًا فأزداد يقينًا كم تحبني

أتصنع الغباء فأكتب لك كل يوم رسائل حزن أزينها بدمعتين، وأحدث الحمام الزاجل أرجوه إيصال الرسائل

بسرعة، متناسية أن هناك وسائل أخرى كثيرة للتواصل
قد اخترعت بعده، وأن الحمام الزاجل انقرض حتى قبل أن
يكتب ساعي البريد عنواني الجديد داخل روحك ...
أتصنع الغباء كأن أكتب قصيدة من عشرين بيتًا جميع
أشطر أبياتها مكسورة وأقرأها على مسامعك فقط لأرى
احمرار وجنتيك حين تغضب، وأكرر مرارًا أكره كتابة
الشعر الموزون وأعشق سماعه حين ينبثق من شفتيك ....
أتصنع الغباء كأن أحل مسألة رياضية فأسمي المثلث
القائم حادًا ومتوازي الأضلاع دائرة فقط لأني مغرمة
بحديثك عن نظرية فيثاغورث في المثلثات، وأتناسى معنى
المحور والأوتار والقطر وغيرها حتى تتحدث وتتحدث،
فلا ترمِ برغبتي الجامحة بسماع صوتك في المحيطات، وكلما
علا صوتك ابتسمت لأني أدرك كم تحب تخصصك وكم
يهمك أن أفهم وأتعلم ...
أتصنع الغباء حين تحدث صديقك عن إهمالي وطريقتي
السيئة في طهو الطعام، وتجاهلك له حين يقول إني أم
رائعة ومهندسة عظيمة ...يقول إني معلمة ومربية فاضلة
... وخصوصًا حين ألمح غيرتك إن لمّح أن عمري يبدو
أصغر بكثير من الحقيقة هو لا يدرك أني كنت أستمد

شبابي من نبض قلبك ويروي ظمأ روحي وفاؤك، فلماذا أعجبتك تلك التي أهدتك وردتين وقصيدة،
تلك التي لمحتك تعطيها رقمك لأعرف أنك أرسلت لها صورة على برنامج ال **Whatsapp** خاصتها صورة فيها نهاية لتصنعي للغباء مهرت بخاتم المحكمة، كتبت فوقها طلقت تلك الغبية ثلاثًا وهذا الدليل.

****

عبادةٌ

أشتاق عبوديتي ودمعات كنت أذرفها بين يدي خالقي
ذات مساء، أشتاق صويحباتي ومربيتي وضحكات كانت
تخرج صادقة من قلب طاهر نقي، زمن مضى، شدتني
الدنيا لأحضانها كما تفعل حية رقطاء بفريسة تعبت من
مقاومتها، فاستسلمت فما عادت تملك من أمرها شيئًا،
للذات يا سيدي متعة خرافية وحلاوة كما العسل الممزوج
بالشهد، تدهشك الخطيئة، تشدك كما حسناء في يوم
زفافها أو وردة تحوي من العطر سحرًا قاتلًا، تحيرك، حقًا
إن لها ما لا يمكن أن تتخيله من الجمال، لثوانٍ يتبدل
كل شيء ويتحول إلى رماد
حين تذكر لذة الجلوس بين يدي خالقك وذلك النور
الذي يصعد بروحك إلى السماء السابعة هناك حيث تسمو
النفس فلا ترى سوى النقاء والبهاء، حيث يحملك
إحساسك بالأمان والسكينة فتهيم في ملكوته ويصيبك
نهم لتنهل من علومه وتحصّل المعرفة فيه فتعلم أن
المعصية بكل جمالها وزينتها لا شيء سوى رماد خلفته

نار من الخوف والاضطراب والغرور فأنت حين تنعم بنور الطاعة تعلم يقينًا أن ما كنت غارقًا به من الشهوات واللذات مجرد وهم قد زينته لك تلك الأفعى التي امتصتك داخلها بكل فن وأغرتك حتى تذوقت سمّها وأصابتك أنيابها بكل إحكام، حينها فقط عليك الاختيار إما أن تبقى في جوفها أو أن تقاوم وتجاهد حتى تنقذ روحك من خبثها ومكرها.

****

رجالٌ

في الواقع يا سيدتي أن تكرهي رجلًا فهذا لا يعني أبدًا ألا تعاشريه أو تأكلي وتشربي معه طوال اليوم مهما كان يحمل من الملامح الذميمة ... كما لو كان أبرصَ قصير القامة يبلغ من الوزن أكثر من طن.

في الواقع ليس مهمًا أبدًا أن يناديك بالجميلة الرائعة أو بالقبيحة المقرفة فمع الوقت تتشابه الوجوه وينسى الرجل ملامح المرأة التي اختارها يومًا ما وهو يعتقد أنها أجمل النساء وليس مهمًا أبدًا أن يكون عاقلًا أو مجنونًا فالعقل نسبي ...ثم ماذا قد تحتاج المرأة من رجل عاقل متزن لا يتفوه طوال اليوم سوى بكلمتين لا أكثر؟ وإن ابتسم تهتز جدران البيت سعادة وتفاؤلًا ولكنك تناجين السماء ألف مرة أن يلبي حاجتك إن طلبتِ منه نوعًا من العلكة يأتي بها كعربون محبة، سيخبرك أنك حمقاء تبذرين ماله بما لا ينفع أو ربما سينعتك بالمتصابية البلهاء.

هذا العاقل صاحب العقدة فوق الجبين يخاف أن يفردها فتطير هيبته أو تنضوي منه ابتسامة فتظهر أسنانه

فلربما حسدهُ أحد عليها على اعتبار أنه الوحيد في هذا العالم مَن ينظف أسنانه دائمًا ويقلم أظافره بانتظام ويغسل يديه قبل الطعام وبعده ...

كما أنه لا يعني المرأة في شيء إن كان الرجل غبيًا حد الدروشة مادام يقدم لها جميع ما تحتاج إليه من مصاريف منزلية ويساعدها في أعمال المنزل وربما قد يبدل حفاضة الطفل ويصنع للضيوف القهوة وينظف الصحون بعد الغداء.

وكيف برجل يرسمك لوحة فنية غاية في الجمال والروعة ، ثم يزرعك كوردة وحيدة في جنائن قلبه ، يغلق عليك أبواب قصره التي بين جنبيه ، يتوجك أميرة ... يباهي بك وكأنك عشتار، يعطيك مفاتيح معاركه جميعها ، رجل يحمل شخصية ملك ، ويتحلى بهمة قائد ، جسور عند الشدائد ، حنون عند الوجع ، طفل إن قتله الشوق ... يداه مبسوطتان لا يقبضهما إلا إن أراد ضمك بين جناحيه ، وحين يستقر سمعك هناك حيث نبضات قلبه ، تسمعين نبضًا غريبًا ... إنه يهمس باسم حروفه مؤلفة من أصوات لا تشبه موسيقى اسمك ، تحاولين جاهدة التأكد مما تسمعين ... وتنصتين بإصغاء تام ، تبحثين عن تلك

الروح التي تراك لامعة كلؤلؤة فتجدينها مقيدة هناك في الماضي البعيد حيث لا مجال للنسيان ولا التحرر ...
تضمينه بين ذراعيك بلهفة وتلتزمين الصمت
وهناك رجل من نار يشعل كل ما حولك لهيبًا، ثم يجلس على قمة جبل الثلج يراقب دخانًا يتصاعد من قلبك، وهو يلف سجارة حشوها قطع تناثرت من روحك..هو يجعلك تمشين فوق حد السيف، توقنين حينها أن أي حراك نحو اليمين أو نحو الشمال فيه سقوط نحو الهاوية هذا رجل يظن وهو في القمة أنه سطا على روحك وقلبك ، في اللحظة التي تنفثين فيها زفيرك ينهار جبله ويسقط في لهيبك.
هناك رجلٌ يصعدُ بكِ السماواتِ السبع سماءً سماء ويشتري لكِ النجومَ بأغلى الأثمان ...تفرحين بها تمسكينها كطفلةٍ حصلت على لعبةٍ اشتهتها منذ زمن، تركضين إلى جاراتك تقرعينَ أبوابَ بيوتهنَّ بيتًا بيتًا وأنتِ مسرورة: انظرنَ ماذا أهدى إليّ؟ فيمتد بصرهنَّ إلى ما بين يديكِ يعجبنَ بهِ ويتوسلنَ أزواجهنَّ أن يأتوا لهنَّ بمثل هذه الهدية النادرة ... فيطوَلنَ ويقصرنَ ويقدمنَ ويؤخّرنَ بدلعٍ مرةً وبالحيلةِ مرةً أخرى، فلا يأتي دلعهن أكله

أبدًا.... وقبل أن تستيقظي من نشوتكِ وانبهاركِ يرنُّ جرسُ هاتفهِ ... تسرعين لتعرفي مَن المتصل، وإذا بصوتٍ أنثوي جميل ناعم ... حبيبي أينك؟
يقولُ الصوتُ: لقد تأخرتَ علي!
حينها تتساقط النجوم من بين كفيك لتحرق قلبك، وينفرج همّ جارتك
كما أنه ليس بعجيب أن ينتقل قلبك بين الحب والكره ، إنما المعجزة أن لا تعشقي ولا تكرهي أي رجل ، حينها يبدو قلبك كالخربة المهجورة التي فارقتها أسراب الطيور منذ دهر وعشعش في زواياها العنكبوت ناسجًا خيوطًا من وهم حول المصباح الكهربائي الذي احترق في قلبك ، كما أن الواقع يثبت أن النكد الذي يسببه رجل يسكن تلك الخربة يتحول إلى جنة من الخضرة والفواكه الطازجة كلما هبت منه نسمة حنونة وتمخضت شفتاه عن همس رقيق ناعم ولكن الروعة الحقيقية حين يثور في لحظات تدفق المشاعر ... حين ترددين قول أمك وجدتك حقًا ظل رجل ولا ظل حيطة ، ولكن الأشد غرابة أن أكتب كل هذا الكلام وأنا أستمع لأغنية أم كلثوم أنا لن أعود إليك

لا أتقنُ الغِوَى

لست أنثى عصرية ، لا أملك عينين يزينهما الكحل ، فعيناي تتمتعان بهالات سوداء قد أرهقهما السعي خلف الكلمات وقد أخفيتهما خلف نظارة ذات عدسة سميكة ،لا يكسو شفاهي لون الكرز ، ووجنتاي نسيت الشمس أن تهديهما لون الأرجوان ، يداي ليستا كحرير الشام ، ولا أظافري قد زينت بألوان الموضة ولم أجذبها بعناية حتى أبدو أكثر أنوثة ورقة ، لا أرتدي فستانًا مزركشًا يطير مع النسمات و ليست قدماي رشيقتين كغزال ولا يروقني الكعب العالي ، لا أملك قامة هيفاء ولا جسدًا رقيقًا تتهاوى له قلوب المارة في شارع مزدحم ، يعاندني صوتي دائمًا فيخرج وهنًا ، غير قادرة على مجاراة رغبتك في سماع دلع أنثوي يتمثل بصوت لين عذب ،أنا فاشلة في بدء أي حديث سوى عن أساليب التعليم الجيدة وكيفية تنشئة جيل صالح مفيد لمجتمعه ، حتى أني لا أملك وقتًا كافيًا لتصفيف شعري سوى بالقدر الذي تملكه امرأة عجوز تجاوزت السبعين بقليل ، كما الجرأة تخونني في كل

مرة أود أن أعلن لك كم يقهرني غيابك ،كم يصبح وجهي حزينًا وتظهر على ملامحه جميع عيوب البشرة ، إذن لماذا أريدك أن تحبني ، يجب أن أفعل شيئًا ما لترى أناي وتنتبه لوجودي ، مشيت مترددة نحو صالون المزينة النسائية

جلست أمام المرأة المزينة ولمحت أدوات التجميل تصطف أمامي متبخترة متعجرفة نظرت إليها بغرابة خاطبة قلم الكحلة باستهزاء أنت من ستجعل عينيّ أجمل، كيف ستستطيع أن تخفي الحزن في داخلهما، أما أنت يا أحمر الشفاه هل تصدق أن باستطاعتك أن تجعل شفاهي أشهى وأحلى ... هل حقًا هذا المسحوق الأحمر سيمنح وجنتي بهاء ودهشة ؟!...

وكأني دخلت توًا مشفًى للأمراض العقلية فأحمر الشفاه يذكرني بلون الدم والكحل بالليل الدامس، والرموش الاصطناعية تجعل عيني كحقل من الألغام، لا شيء بهذه الأدوات يشبه وجهي الطفولي، أو يساعد أنوثتي على النضوج، هل فعلًا أحتاج العدسات اللاصقة لتعرف كم أنّ عينيّ مغرمتان بك؟ ... ، أغبياء هم من يظنون أن أدوات التجميل تجعل المرأة أكثر أنوثة وجمالًا ، إنهن

يستخدمن هذه المجملات ليخفين أثر الخوف فوق بشرتهن ، أو أثار الحرمان الذي علق في قلوبهن ، تمتمت كيف لي أن أستسلم لهذا التغيير كيف سأنظر إلى المرآة ربما شاهدت امرأة غيري لن أعرفني...لو سمحتِ من فضلك لست بحاجة لإخفاء حزني ولا تجاعيد الزمان فوق جسدي ، كيف لي أن أنكر تفاصيل عمر مضى ، إنه أنا بكل لحظاته فعذرًا ... لملمت شعري المتناثر وحزن عيني ترهلات جسدي وهرولت بالرحيل ،ولتتركني في كل مرة تمر بي كقطة أصابها سائق سيارة يقود بسرعة جنونية ، مرمية على جانب الرصيف يسير قربها العابرون بعضهم من يتأسف عليها وبعضهم ينظر إليها بقرف ولا ينقذها أحد من فعلته الشنعاء.

****

تراجعٌ

الليلة باردة ... كل شيء هادئ ... لا ضجيج سوى لروحها المتعبة ... أطلت من حافة شرفتها كانت تخطط لأمر ما وتخاطب نفسها بلهجة الموبخ كيف لشجرة أينعت وطرحت ثمارها سنين أن تُهجر وقد كانت متعتها بسماع أصواتهم وضجيجهم؟ لمَ أصبحت وحدها في بستان خالٍ إلا من الهالوك والدود والعناكب؟ كيف سمحت لهذه الملوثات باختراق ساقها الفارع وتحويله لمجرد لوح خشبي لا ينفع إلا للاحتراق؟

جالت بنظرها في السماء وراقبت أفلاكها بكل تأنٍ ... كان ضوءُ القمر خافتًا يرسل أشعته الخجولة بين الغيوم المتلبدة، حتى الليل سينتهي ويأتي بعدهُ فجر جديد فربما لو فعلت مثل النهار واختفت لحصلت على خيارات أفضل في العالم الآخر ولكن هل من الممكن أن يحمل ذلك العالم خيبات أخرى لم آلفها من قبل ... هكذا خاطبت نفسها ... مرَّ شريط حياتها أمام عينيها ... مَن كان يستحق حياتي هذه ولماذا لم أنل الأفضل؟ دائمًا كنت

أكثر أصدقائي فقرًا وشقاءً حين أنجبني والداي أجبراني على الحياة لم يستشيراني ربما كنت لا أرغب رؤية هذا العالم الممتلئ بالحروب والنكبات وهؤلاء البشر الذين خلت قلوبهم من الرحمة والشفقة ... للحظة خفضت بصرها وأصغت لوشوشات طغت على هدوء ليل بهيم كان يوحي بالوحشة ... أنصتت لأصوات أهل المدينة ... ترى بماذا يتهامسون؟ وكيف يملكون كل هذا الجلد للحديث؟ وكيف لا تتعبهم كثرة الثرثرة؟ كلٌّ يرى عيب غيره ويصفه بإتقان تام أما نفسه فهي منزهة عن كل خطيئة ... قطع هذا الصمت صوت قرقعة النرجيلة ... إنها جارتها لقد اشترت راحة بالها حين أهملت زوجها العاطل عن العمل حيث أنه لا يعتبر نفسه مسؤولاً عنها ولا عن أولاده الأربعة وحين تطالبه بتحمل أعباء الأسرة كمسؤول عنها يبدأ الزمجرة وسب الذات الإلهية و كرد فعل منها أقسمت أن تجعله يندم على لحظة زواجه منها فأخذت تتأنق كل ليلة وتضع أطيب عطورها ثم تغدو وتروح أمامه دون السماح له بلمسها،كم كانت غبية حين ظنته رجلًا ذا كرامة لقد راح يطالبها بحقوقه الزوجية وحين ترفض يأخذها غصبًا كل ليلة ثم ينام على

صوت بكائها وتسهر تضمد جسدها على صوت شخيره ، حسنًا لم تكن قادرة على مغادرة المنزل خوفًا على أطفالها الأربعة أو هكذا ظنت ... أما ما كانت تستغربه حقًا فهو ضحكة حنان التي لا يحلو لها النوم إلا بعد أن تكون قد نهنهت من ضرب زوجها المقامر .. جسد حنان كان ملطخًا دائمًا بالحمرة والزرقة في أيام كثيرة تصبح غير قادرة على الحركة ... هكذا هن النسوة من حولها صابرات مجبرات على تحمل الصعاب راضيات تأخذ كل واحدة منهن ما يتصدق به عليهن أزواجهن برضى وخنوع لماذا تريد أن تنهي حياتها إذن؟

وهل حياتها أسوأ من حياة من حولها من النساء؟ نزلت من الشرفة وأغلقت الباب ثم نامت في أحضان الثعلب!

****

الموعدُ المنتظرُ

إنه الموعد المنتظر، كل شيء مرتب كما تحب، فنجان القهوة والزنبقتين على طرفي الصينية، أغنيتك المفضلة، والظلمة التي تحبها، ووجهي القمري والبحر الهادئ، النسمات تهب فيحرق صدري الملح
يا لهذا الملح أيقظني من نشوة الانتظار وأخذني لنشوة أخرى نشوة لا تشبه أبدًا روعة حضورك بعينيك البهيتين، وملامحك الغاضبة التي تنفجر لرؤية بياض الفجر ...
لطالما كنت أعلم مهما انتظرت أنك ستأتي كنسيم الربيع الناعم، تداعب مسامعي بكلماتك الجميلة وتحول الظلمة حولي لنهار دائم ... كيف لي أن أستوعب أن صدري التعب لن يرتاح على أعتاب قلبك، كيف لي أن أعرف أن هذه النار الساكنة في أعماق روحي لن تهدأ.
أنت تحب القهوة مُرة كنت تقول دائمًا :لا تضعي السكر في القهوة ، يكفي أنك تصنعينها لتصبح حلوة كالعسل ، كيف لي أن أنسى ابتسامتك والقبلة الصباحية على

خديك المتوردين اللذين طالما انتظرتهما شفتاي ، كيف لي أن لا أشتم عطرًا يفوح منك بعد تعب يوم طويل وأنا أجهز لك طعام العشاء ، وأنت تزيل تعب النهار عن كاهلك ... لم يكن ليمر في ذهني أن شمسًا ممكن أن تشرق وابتسامتك لا تزين نهاري ...ولكن لمَ تأخرت اليوم عن موعدك القهوة بردت وحبات الهيل تململت وهي تنتظر الهبوط من الفنجان نحو جوفك الدافئ، هذا الصباح لم تأت ، لم تقبل يدي ، لم تضمني حتى تختلج أضلاعي فأصرخ بك أي حبيبي إني امرأة لم يعتد جسدها على القسوة ، هذا الصباح أنا من سأضمك بعد أن جمعوا أشلاء من جسدك وسأقبل دمك الذي رويت به تراب وطن طالما أحببته أكثر مما أحببت قهوتي المحلاة بشيء من روحي ،ولكن أي بني لن أكون أبدًا قاسية على هذه الأشلاء ليتني أستطيع أن أغسلك بدمي وأكفنك بروحي وأجعل قلبي قبرك حين جاؤوا بك وهم يصرخون يا أمه ضميه فقد سرق دفء روحه صاروخ عابر ، نسيت أن أقول لك صباح الخير يا ولدي لقد التزمت بجميع وعودك لي لن يبرد فنجان قهوتي بعد اليوم أبدًا .

نقطة على جدران الذاكرة

كان الوقت ظهرًا، الشمس تنشر أشعتها الذهبية، كبركان يحاول أن يغزو المدينة، هذا يوم غريب كل شيء يبدو باهتًا. أصوات السيارات، الأشجار كئيبة خائرة الأغصان، الأرصفة تبدو مهجورة وكأن سكان المدينة مر عليهم طوفان فأبادهم ولم يغادر منهم أحد، والعصافير تهذي بنغم حزين، الطبيعة تثير مشهدًا جللًا... زوجة عمها تسحبها من يدها كخروف صغير يساق للذبح، وهي طفلة صغيرة تحاول أن تفهم ماذا يدور حولها، بدأت تجول في خلدها الكثير من الأسئلة، لمَ لم تنم في حضن أمها ليلة أمس؟ وما سر ذلك الرجل المفتول العضلات الذي يجهش باكيًا؟ ولمَ هو مصرٌ أن يتصرف على هذا النحو؟! أثناء مواصلتها السير لاح لها من بعيد بيت جدها لأمها، شعرت بشيء من السكون، كاد قلبها يطير فرحًا، إنه بيت مؤلف من طابق واحد تحيطه فسحة واسعة تنتصبُ في منتصفها شجرة خضراء، كانت تلعب هي وبنات خالها وخالتها في أرجائها ... ولكن ما هذه الصفوف من الكراسي التي رصفت قرب بعضها البعض بشكل مرتب، المتجمهرون القادمون من كل صوب ظلوا يتهامسون، تناهى إلى سمعها بعض الكلمات لكنها لم تفهمها:

حاذروا... إياكم أن تجعلوها ترى هذا المنظر، افتحوا التابوت ... لا لا تجعلوها تنظر لم تكن تفهم، ربما هذا المشهد استغرق دهرًا ساكنًا في ذاكرتها، حتى أدركت ما الذي يحدث. .. بمرور الزمن نمت وترعرع جسدها فأصبحت شابة يافعة القوام، بهية الطلعة بين جناحيها قلب يخفق حنانًا ، وروح تواقة للانعتاق، كثيرًا ما حاولت أن تنسى ذلك اليوم ولكنه ظل عالقًا في تلافيف الذاكرة، كلما حاولت التحرر منه طغى عليها ونغص لحظات السعادة القليلة التي كانت تمر خجلة من دمعها ... دائمًا ما كان شوقها وحاجتها يأخذانها هناك حيث تراب طاهر ضم جسدًا لم تدنسه بشاعة الزمان، لم يطغ عليه بحر الأسى، مازالت تفكر بتلك الطفلة التي كبر جسدها ونضج وظلت روحها عالقة هناك حيث كانت تجلس وتنشد:

تسألني عنك جديلتي وبعض أوراقي، تجمعات الحرف في ذاكرتي، الصور والكتب وأقلامي

تسألني عنك أزقة شراييني والطفلة القابعة هناك في فؤادي تنتظر ابتسامتك، تسألني المرايا وأخطائي التي رافقتني منذ نعومة أظفاري، تسألني يداي حين أرتجف

من البرد، عيناي اللتان تذرفان الوجد شلالًا، والبرق حين يخطف بصري، يرددهُ متسائلاً عن كل هذا الشوق في أحداقي وحين ترعد الدنيا فأخبئ رأسي بين كفيّ يسألني البحر حين أرجوه أن يكفن جسدي بملحه والريح حين أطلق معها زفير أوجاعي، جميعهم يسألونني عنكِ ..

****

يومٌ في حياةِ طالبٍ ثانويٍّ

الثامن عشر من أيلول إنه الصباح الأول للعام الدراسي الجديد ساد القلق أفراد العائلة ربما لأنهم جميعًا يعملون في مجال التعليم، يوم لا يشبه أي يوم قبله الجميع يفكرون ترى كيف سيكون هذا العام؟

شرد تفكيره إلى هناك حيث الشارع الذي في آخره المدرسة ... مدرسة كبيرة ضخمة ضمت ما يزيد عن ألف وخمسمئة من الطلاب تتمتع بسمعة متميزة

غير أن شقاوة هؤلاء الطلاب أجبرت المنوط بهم الاهتمام بشؤون المدرسة على رفع السور فأنت إن دخلت ساحتها ظننتها سجنًا كبيرًا لم يدرك المسؤولون عن تعليم هؤلاء أن لا شيء يعصم هذا الجيل غير الفهم والعقل والمعاملة الحسنة فأسلوب الزجر والعقاب الدائم لن يأتي بالنتيجة المرجوة.

غرفة المديرة كبيرة رتبت بدقة في منتصفها مكتب ضخم وضع عليه الأختام والأقلام وبعض المصنفات وخلفه مكتبة فيها بعض الكتب المنوعة في المنتصف وضعت

صورة مزخرفة وفي الجانب الأسير من المكتب يرفرف علم الوطن، كل شيء طبيعي وأكثر الأشياء طبيعية هي شقاوة الطلاب وضجيجهم الذي يحدثونه في صعودهم ونزولهم، هذا ما فكر به فجر فهو قد شاهد المدرسة حين ذهب مع والده لما أقام دورة تدريبية على الحاسوب حيث كان مدرسًا ضمن ملاك هذه المدرسة.

أيقظ والدته لتعد له الفطور زيتونًا وجبنًا مربى وشنكليش وأبريقًا من الشاي مع بعض حبات البندورة

فجر كعادته يجب أن يستمع صباحًا لفيروز فهو يعرف أن أمه تحب صوتها مسك هاتفه النقال وضبته على إذاعة أمواج إف إم، بدأت فيروز بالغناء أنا لحبيبي وحبيبي إلي نظر إلى أمه وهو يردد كلمات الأغنية ويضمها بين ذراعيه ربتت على كتفه طلبت أن يخفض صوت الهاتف فوالده مازال نائمًا

قبلها ثم سألها إن كانت تحتاج شيئًا دعت له بالتوفيق وغادر المنزل، غادر حاملًا معه قلب أمه الراضي عليه، كانت أمه تحمل داخلها همًا واحدًا فقط أن تجعل منه ومن أخوته سراجًا ينير الظلمة التي بدأت تحيط بالوطن

من كل جانب أسمته فجرًا وأسمت أخاه صلاح الدين وهي تعلم أن لكل نصيبًا من اسمه
قلب الأم ومن يعلم كيف ينبض ذلك القلب حين يرى الصغار قد بدؤوا طريقهم في صنع أمجادهم وكيف يتجدد العمر الذي مر بعمر قادم كيف ينمو الغصن ليصبح شجرة ذات هيبة وجمال ...
ذهب إلى مدرسته بكامل أناقته مر اليوم الأول والثاني دون شيء يذكر، في اليوم الثالث دخلت معلمة الكيمياء الصف، أنصت لها بكل هدوء وانتباه وأخذ يراقب حركتها وسكناتها وكل حرف تقوله فهو لا يرغب أن يفوته شيء من الدرس على اعتبار أنه راغب بالتفوق، انتهت حصة الكيمياء دخلت مدرسة الفلسفة، ألقت تحية السلام على الطلاب، بدأت بالشرح ثمة موضوع ذا صلة بالفلسفة، أبنائي ... الفلسفة يا أبنائي علم حياة فهي تفتح لنا بابًا لفهم الكثير مما يدور من حولنا، مثلًا إن تحدثنا عن أفلاطون، أرسطو وابن رشد وغيرهم من علماء الاجتماع، نعم الفلسفة علم وأخلاق.....، هنا نظر إلى المدرسة وتبسم، حاول فهم كل كلمة قالتها، إنه لم يستطع أبدًا أن يكون سعيدًا وهو يسمع هذه الأسماء ويحاول

تسجيل هذه المعلومات في تلافيف ذاكرته ، انتبه لنفسه ثم فتح كراسته الصغيرة التي اعتاد حملها منذ أن شعر موهبته مؤهلة في كتابة الشعر وكتب ..... انتبهت المدرسة لشروده فتوجهت إليه على مهل وأمسكته من أذنه نظر إليها وعيناه تملؤهما الشقاوة وابتسامة حاول إبعادها عن شفتيه ولكن سبقته بها عيناه (آنسة أنصحك ألا تقرئيها)، بدا على المدرسة شيء من الغضب المصطنع وقالت في صوت حاد هات هذه الكراسة أفضل أن تعطيني إياها برضاك خير من أن أخذها غصبًا فنحن هنا داخل قاعدة الدراسة ولست في بيت أبيك رسم على وجهه ابتسامة ناعمة ومد يده بالكراسة إليها أخذت تقرأ

وأخذْتُها في مقلتيّ تحيّةً
حيَّتْ سلامًا. قلْتُ طبْتِ سلامًا
وتفلسفَتْ في صفِّنا فيلسوفةٌ
وتقول: ما هدف الحياةِ. وما؟ . ما؟!
بيني وبينَ النَّفسِ كنْتُ مراوِغًا
يأسٌ يحطِّمُني. فكنْتُ حُطَامَا

نظرت إليه نظرة ممزوجة بالغضب والإعجاب أنت شاعر الصف إذن لا ترمينا بحجارك.
أدارت ظهرها إليه وهي تحاول إخفاء ابتسامة رضا قد طبعتها على وجهها وتمتمت يبدو أن الوطن مازال بخير عاد فجر إلى البيت والفرح يملأ قلبه وقد فاض في مقلتيه حين رأته أمه أيقنت أن هناك أمرًا ما قد حدث فروى لها القصة تبسمت وضمته إلى صدرها وتمتمت أعان الله أساتذتك.

****

مضغةٌ في الصدرِ

لا شيء كالقلب، قلبي لؤلؤة أهديتكَ إياهُ يوم كنتَ فظاً مملاً يهرب منكَ أصدقاؤك إلى الحانات ويؤثرون مصاحبة الزجاجات الفارغة على سماع كلمة واحدة من فمك ، فمك هذا الذي إن هب الحرث فيه فلن يتكلم سوى بضعة كلمات مقتضبات ليس فيهن حرف واحد يوحي بالتفاؤل .. التفاؤل ذلك الشعور الذي كان يومًا جزءًا من قلبي ضاع مني يوم أهديتك إياه .. أعجز عن صياغة المعاني وترتيب الحروف كما يجب .. هذا القلم ضال والصفحة بيضاء لا مكان فيها لبعض المشاعر السوداء ولا غصن لعصفور أضاع بيته ، حين أحن لقلمي يفجعني أنه لا يحن لأصابعي ولا يعنيه تجمع الأفكار والمعاني في رأسي ولا يهمه أبدًا تدفق البيان في لغتي فهو قرر أن لا يخط حرفًا واحدًا يتحدث فيه عن الوطن ، هل أكتب خوفي بدموعي ؟ أُراقبني من بعيد فنجان قهوتي المتململ ، كان قد ألقى علي تحية الصباح بشوق وشغف .. ترى هل للعتمة تأثير في عواطف البشر؟ الكون هادئ ساكن حولي رغم

ضجيج الأطفال وابتهالات الأمهات أن يفتح الله على عقول أبنائهن فاليوم ثاني أيام الامتحانات النصفية .. يقطع السكون حولي صوت ابني وهو يرتل بعض آيات الله قبل توجهه لامتحانه يبحث بينها عن بعض الهدوء لنفسه بعد أن قضى ليلته يدرس على ضوء الشموع والعتمة تحيط به .. ها قد قهرها نور .. يقبلني يخرج إلى امتحانه محملًا بدعواتي أجلس لأراقب فنجاني من جديد وأسمع صوت فيروز الذي ما قتلت جماله فيّ.

****

ضفيرةٌ

أتعبتني ضفيرتي يا أمي لم تعد تليق بشلال البياض الهاطل على كتفي ولا الوديان التي رسمها الزمان فوق بشرتي، ماتزال روحي محجوزة بين خصلات شعري المضفرة إنها تجعلها كفرخ طير يضرب بجناحيه يحاول الطيران... ضربا بغصن يابس فتكسرا ولا نجاة

أمي تعبت من ضفيرتي لم تعد تناسبني المضغة التي في صدري كلما ظننت أنها نضجت أراها تسعى لتبلغ مطلع الشمس، لا شمس تليق ببردي، أسمع البرد يا أمي للبرد صوت ألم أخبرك؟

إنه كصوت تكسر الأغصان عند عبور عاصفة هوجاء النورس يا أمي طائر جميل جدًا هو يغني لي كل صباح ولكنه لا يقترب من الشاطئ كثيرًا أريد أن أكبر عله يفطن لولهي فيعيرني جناحيه، تقول الحكمة الصغار لا يستطيعون الطيران

لذا فكِي ضفيرتي ...

****

حنينٌ

بت أزور حديقة الأطفال مع إشراقة الصباح الأول حين تمشط الشمس شعر المدينة بعد أن تنهض بنشاط تجهز حقيبتها لتسعى خلف سكانها تحثهم على العمل، الشمس تغزل من أشعتها زينة تهدي المدينة دفئًا فتبدو كأم حنون، بكامل عطفها تحتضن الأطفال في ذهابهم إلى مدارسهم .... اليوم قبّلت طفلة، ساعدتها في تعديل حقيبتها المدرسية ومررت بشاب تحضن يده أصابع فتاة كانت تناديه أبي، زرت البحر شاهدت النوارس وهي تحلق مستسلمة للفضاء أظنها تعشق زرقة البحر مثلي، يقولون إن عينيكِ لم يكن لهما لون ثابت أعشق النوارس وأعشق يديكِ حين أشعر بهما تضفران شعري كل صباح، قالوا أيضا إن الفجر كان يسرق ضياءه من نور وجهكِ، هذا يفسر لما لا أراني إلا طفلة في السادسة من عمري أحب النوارس لا أدري أي سحر تخبئه تحت جناحيها، أُتراكِ علمتِ كيف سرق الموج من عيني ملحه؟ كنتُ أطلب منه أن يتوسط لي عند النورس ليحدث غيمة

بيضاء ويغريها لتقترب مني كنت أريد أن أرسل لكِ
رسالة ، أتذكر أنهم قالوا إنك أجمل إناث المدينة، هذا
يفسر أيضًا لم لم يعد هناك من يغني للحب مذ رحلت ِ
النوارس تحب الوحدة هذا ما أخبرني به صديقي البحار
لذلك لم تلبي طلبي ولم تزرني الغيمة وما بعثت لك
برسالة المهم أنا الآن في حديقة حينا بين الأشجار وفوق
المراجيح ،ألعب بشغف وأركض وأنت تناديننني وقد
ارتسمت على شفتيك ابتسامة حزينة أنا خائفة يبدو أن
جديلتي قد علقت بينما كنت تنتظرينني في آخر
الزحليقة ،فأنا لا شمس لي كمدينة ولست أملك براءة
طفلة لتأتي امرأة عطوف تنتشلني من وحدتي وقد بلغت
من العمر زمنًا فمن المشين أن يمسك أبي بيدي ويحضن
كفي الباردتين قالوا إنكِ أحببتني جدًا لماذا إذن لم تشديني
من يدي حين رحلت ، من ماذا خفتِ عليّ ؟ من أن
يغمرني ذلك التراب الذي غمرك.... أم من أن تفنى عظامي
بينما تربتين على ظهري لأغفو، ليتك لم تفلتي يدي يومها
ليتك لم تفعلي

****

يا أبي

سامحني يا أبي فأنا لست كما تظن ابنة مثالية... إني فقط استيقظ باكرًا أرسل التحنان ليزور فلذات كبدي ثم أوقظ الطيور لتسعى نحو الشمس.

ابنتك تغار من الشمس يا أبي يحبها البحر وبينهما مودة ورحمة.

الرحمة يا أبي شعور بسيط اتهموا من تحل به في زمننا بالجنون.

الجنون يا أبي هو أن أصادق غيمة أبوح لها بسر فترتفع به نحو السماء فيهطل مطرًا ... المطر دليل آخر على الحب فالسماء حين تعجز عن حضن الأرض ترسل لها رسائل الشوق على هيئة مطر، السماء في لحظة نشوة وشت بالسر للأرض

ورغم أني من الأرض نبتتُ غير أنها أهدت سري لنسمات الصيف تغنيه للسائحين العابرين.

العابرون حين ضمتهم أوطانهم تحدثوا عنه للريح التي وعدتهم بعدم التعرض لهم إن أتوها بخبر عظيم من المهجر

المهجر يا أبي هوأن تكون شجرة زيتون أحاط بها العلقم
ونبت تحت ظلها الصبار
الصبار لا يعترف بالعاصفة، العاصفة أنا حين تضرب
وجهي غيمتان التقتا في رحم السماء، أسمع إحداهما
تهمس للأخرى أهذي هي صاحبة السر ؟!
أرأيت كيف أني ابنة عاقة يا أبي؟
أنت زرعت حكمتك في تربة غير صالحة فأنبتت ابنة لم
تستطع حفظ حب أبيها في أعماقها.

****

القصةُ شمسٌ

القصة بسيطة جدًا أكره الشمس وأحب البحر، أكره الشمس لأنها تحبه أيضًا، لذلك لا ينطبق علي قول المغني (بحبك وبحب كل مين يحبك)

ستقولين يا صديقتي أني أنانية هذا غير صحيح أيضًا لأن المشاعر كالبصمة لا تتكرر.

قال لي صديقي الناقد أن من يريد كتابة قصة مميزة يجب أن يستخدم التورية ويهذب فكرته ... يجمّلها ثم يتقن صياغتها ... أن يجعل القارئ محتارًا كيف ستكون نهاية القصة ويبحث عن مفردات أدبية عميقة، وأنا امرأة محبة، لم أحتجِ العمق لأقول إني أحبه ؟!

ولدي الشاعر الصغير في عمره الكبير في إبداعه يقول أيضًا إن التحدث عن الحب صراحة يشوه معناه، وأنا أوافق ولدي لسبب بسيط جدًا، أن هناك حقائق إن قيلت تُذهِب الدهشة ...

صديقتي المقربة حين أخبرها أني كتبت نصًّا أتحدث فيه عن الحب تضحك ..

لا أنكر أني أحب ابتسامتها التي تحمل جميع أنواع النكران
فأنا حين أقول لها أما قلت لك؟
تسألني ماذا؟ أقول لها إني أحبكِ ...
تبتسم ابتسامة يشرق لها قلبي وتقول وأنا أحبك
وهكذا أكون قد أخذت منها اعترافًا بأن الحب موجود بالمطلق ....
في الحقيقة أنا مصابة بالزهايمر فقد نسيت ماذا كنت أريد أن اكتب.

****

عريُّ الغيمِ

يستخدمون تعبير عري الغيم ، هم يرونه عاريًا وأنا أراه يلبسني ويسري بي نحو المجهول ، مجهول لا أدركه ولكني أعلم أنه جميل أبيض ونقي ، كيف يرونه عاريًا وقد حوى طهر الأرض إن اسود سقاها ماء غدقًا يهطل فيدثر الوديان ينظف الأزقة والأرصفة ، يروي الأشجار ، يرسم ابتسامة على شفتي طفل يركض مسرعًا نحو مدرسته ويغني للمطر ، إن ابيض سمح لأشعة الشمس بدخول المنازل والطرق ، تلك الأشعة التي تدخل خلسة إلى البيوت الباردة حيث تهدي لونها الوردي لوجنات الصبايا،وتبعث الهمة في قلب عجوز تنوي شرب قهوتها على الشرفة لتسرق بعض البهجة وتهدي ابنها بعضًا من حكمتها الممزوجة بالتحنان كقلب محب يخوض تجربته الأولى في العشق ...كروح مذنب عرف الله توًا....
كهمة أب يسعى صباحًا نحو العمل دون كلل أو ملل ...كصدر أم سهرت ليلًا وهي تهدهد طفلها الرضيع

وتنشد له ....الغيم كمدينتي حين تستيقظ صباحًا على
أصوت العصافير والنوارس المحلى بأصوات السنونو ...
فكيف نتهم النقاء بالعري ....؟

****

رسالةُ موج

حين وصلتني رسالتك تخبرني أنك قادم بعد كل هذه السنوات، كنت عاجزة عن فهم حروفها وغير مدركة لمكنوناتها، حروفك هذه لم ترها عيناي بمنظومة الرؤية العينية بل بمنظومة أخرى أباحت لقلبي قراءتها ... ذرات الدم الحمراء في عروقي من فسر معانيها ، كريات دمي البيضاء دافعت عنها بشدة ضد تلافيف مخي التي رفضت أن تستوعب فكرة عودتك بعد كل هذا الزمن ، من قال إن القلوب لا تجيد قراءة ما بين السطور ، حقيقةَ حين قرأت رسالتك تلك عددت أحرفها حرفًا حرفًا وحفظتها عن ظهر قلب ، لم أكن قادرة على فهم ما ختمت به رسالتك إني قادم غدًا ، غدًا أيعقل أنك ستأتي ، وسنعود للتسكع في الشوارع وما بين الأزقة ، سيشفى كسر جناحي اللذين كنت أطير بهما نحو الغيم وأنت تناديني (حنون هيا لنتسابق) وحين يبدأ السباق يتناثر الفرح في كل مكان وتضمني البهجة وكأني زنبقة نبتت في حقل من الياسمين، كنا طفلين ألبستنا الحياة ثوب السعادة ، ما كنت في ذلك

العمر لأدرك أن هناك زمن يمكن أن يفصل بيننا
فتتكسر تلك الأجنحة وما كنت أفكر أن البهجة أم عاقة لأبنائها .
انتظريني غدًا يا لدهشة روحي وغرابة الكلمات، أنتظرك يا رفيق الطفولة كما تنتظر اليمامة فرخًا يخوض تجربة الطيران وحده للمرة الأولى ، و كما تنتظر الصحراء حبات المطر في يوم صيفي شديد الحرارة
أنتظرك كشلال ماء عذب يركض من قمة جبل ليقفز في حضن الصخر عله ينال شيئًا من الدفء
أنتظرك لتأتي فتلملم ما تناثر من بقايا روح دمرتها الوحدة وقضى اليتم على بهائها
حين كنا صغارًا لا نفقه من هموم الحياة إلا أنّا تعبنا من الركض، وأنّ أصدقاءنا قد سبقونا إلى البستان المجاور لحينا يجب علينا أن نسرع لنلحق بهم، هه أتذكر حينها كنا نلعب أنا وأنت ومحمود ابن عمي وفادية بنت خالة لمى وهنود بنت جارنا أبو حسن وعبير بنت الحجة لطوف، تستغرب لماذا أذكرهم جميعًا اليوم، سأخبرك...
حين تقدم محمود لخطبتي حسدنني جميعهن لا أنسى يومها فادية ماذا قالت لي لم يزل صوتها يرن في أذني

(أريد أن أفهم ما الذي أعجبه بك؟! هالعيون اللي متل عيون البقرة، ولا هالطول اللي متل حبة التمر هاها بجوز عجبو شعرك الجعدي اللي متل .... ولا بلا مانئولها) نظرت إليها وقد رسمت ابتسامة صفراء فوق شفاهي ثم خرجت وأنا أتمتم اللّٰهُمَّ أعنها على عقلها.

الغريب أن في ذلك الوقت جميع بنات الحي حسدنني على هذه الخطبة حتى هنود التي كانت لا تطيق أن تلامس جسدها مع جسد أي فتاة وكانت تعتبر الضمة والقبلة التي تكون عند السلام عادات بالية ومقرفة حين أخبرتها أن والديّ قد وافقا على خطبة محمود لي جن جنونها وأخذت تضمني بقوة غريبة حتى قبلت أضلاعي بعضها بعضًا، نظرت إليها مستغربة وسألتها ما الذي حلّ بك قالت إنها سعيدة جدًا بنبأ خطبتي، يبدو أني الوحيدة التي كنت أرفض هذه الخطبة، تمتمت وأنا خارجة.... قلت في ذهني عليّ أستطيع البوح بما يجول بخاطري أمام عبير فهي أكثرهن قربًا مني حين دخلت عليها كان نبأ خطبتي قد وصلها ركضت إليّ مهنئة والدموع تتسابق على خديها وحين خاطبتها سائلة عن سبب بكائها قالت إنها تذكرت أخاها الذي كان رفيقًا لمحمود منذ الصغر وكم

كانت تتمنى أن يعود من السفر ليحضر زفاف صديقه الوحيد.

لا أدري إن كنت ما زلت تذكر محمودًا كان شابًا جميلًا جدًا متورد الخدين عريض المنكبين ذا عينين خضراوين ، لقد أخذ لون عينيه من أمه السيدة سارّة فهي من أصل روسي وأغرب ما فيه أن بشرته السمراء كانت تلمع بطريقة غريبة تحت شمس الصيف الحارة ، ابتسامته الماكرة التي تخرج من عينيه الخضراوين تشد فتيات الحي جميعهن تقريبًا ، وأقول تقريبًا لأني دونًا عنهن كنت مغرمة بشاب قصير القامة ذي عينين بنيتين قد انحسر جزء من شعره عن مقدمة رأسه ، لن يخيل لأحد وخصوصًا والدي أنه من الممكن أن أرفض محمودًا ولكني فعلًا قصيرة مثل حبة التمر كما قالت فادية كيف لي أن أنظر إلى محمود ؟ خيل إلي أني إن أردت تقبيله وجب علي وضع كرسي والوقوف فوقه عليّ أبلغ ذقنه ... وأيضًا أستغرب كيف كنتما أصدقاء كنتما تشكلان رقم عشرة ، أعرف كم كنت تحبه وهو كان يحبك أيضًا ولكنه لم يعلم يومًا ما أكنه لك من مشاعر...

رغم أن والديّ شديدا التفهم ولكنهما لم يستوعبا عدم قدرتي على تقبل محمود رغم وسامته الشديدة في نظرهما.
ولكن هل على الفتيات جميعهن محبة رجل واحد ؟!
ألا تختلف الأذواق؟!
عبثًا حاولت أن أقنع أمي بفكرتي هذه لذلك تزوجته ونسيتك أو تناسيتك ...
محمود لم يكن سوى رجل أحبته جميع نساء الحي حتى المتزوجات منهن إلا أنا ، فهن لم يروا منه سوى منظره الخارجي أنا من عشت معه زمنًا كم حاولت أن أحبه، وأتقرب منه كان في كل مرة يثبت لي أنه رجل ليس ككل الرجال ، قد تستغرب كلامي هذا ولكن هل تذكر حين كنا أطفالًا وذهبنا لنشتري بعض الحلوى من دكان أبي حسن ، يومها جعلك تشتري له على حسابك رغم أنه يملك النقود الكافية، بطبعي أحب الرجل الكريم ولكن محمودًا لا يعرف شيئًا عن الكرم لقد عانيت منه كثيرًا، حياته الاجتماعية فاشلة جدًا، كم تمنيت لو أنه ساعد ولو لمرة واحدة أحد المحتاجين، لا يجيد سوى التبسم لنسوة الحي في كل مرة كنا نسير بها معًا في شارع وبين الأزقة كان يغمز هذه ويساير تلك ، ألا يحق لي الاحتجاج

ألستُ من جنس البشر - ليتني كنت غيمة عابرة تنظر من عليّ لا يعنيها ما يحدث في الأسفل بين البشر ... - كنت كلما عاتبته في هذا الأمر ضحك ساخرًا وقال (أي مالتكوني امرأة بالأول روحي شوفي حالك كيف متل الورقة المجعلكة والله بستغرب كيف بتتحملي حالك) أضحك ساخرة وأتمتم أليس هو من تقدم لخطبتي وأجبرت على الزواج منه، لم أكن قادرة على متابعة أي حوار بيني وبينه فهو لم يكن يدخر مناسبة لإهانتي وتجريحي ...

المهم أنه منذ سنة تقريبًا أخذ للخدمة العسكرية الاحتياطية هل من العيب أن أقول بأني شعرت بفرحة غامرة تجتاح روحي وشعرت أني تخلصت من حمل ثقيل جثم على صدري، حمدت الله، وصليت كثيرًا أن تعلمه هذه الحرب شيئًا وتحوله من رجل مغرور عديم المسؤولية لرجل يتحمل عبء حياته كاملة، ولكن فرحتي لم تكتمل بعد شهرين فقط جاؤوا به شهيدًا...

كم احتفلوا به وأطلقوا الرصاص والزغاريد وحدي فقط من كنت سعيدة جدًا بموته، أشعر أن الشهادة شيء لا يليق بالبخلاء، قد تستغرب حقدي وكرهي اللذين أكنهما

له، هل من الممكن أن يخطر في ذهنك أن رجلًا مستعد ليبقى طول اليوم بلا طعام حتى لا ينقص المبلغ الموجود في حقيبته؟ في الواقع يختلف الأمر بين أن يكون الرجل فقيرًا ومرتبطًا بمسؤوليات يوفر ماله من أجل ستر عائلته وبين رجل يخاف أن يصرف قرشًا واحدًا يبحث في الشوارع والأزقة عن أي شيء يراه علّه ينتفع به ....
وهو فوق ذلك صاحب عمل مربح وتجارة جيدة نوعًا ما ...
لا تحب أن أذكر محمودًا رحمه الله بسوء فهو صديقك المقرب لا تنظر إليّ هكذا .. ها قد صمتُ ...
داعبت النسمات ستائري أنا الأرملة الوحيدة وأدركت أن رسالتك تلك كتبتها بالثلج الذي ذاب عند أول شعاع زار غرفتي ....

****

الكورنيشُ الجنوبيُّ

في الحقيقة يا سيدي يجب عليك ألا تهزأ بأحلامي المتواضعة، فأنا في حبك مازلتُ طفلة لا تتقن فن التصرف وأسلوب التعامل الجيد، ما زال قلبي بكرًا صغيرًا يمارس هوايته على أعتاب عقلك الناضج وفكرك النير. في الواقع إني أمارس شقاوتي بخفة أمام ناظريك ، وأنت لا تدرك بعد كم تغريني تلك الرصانة التي تبديها في كل مرة نسير بها معًا عبر أزقة المدينة ممسكة يدك كطفلة تخاف أن تضيع أو تخطف، أرسم على فمي ابتسامة وأنا أراقب حيرتك وعجز حروفك عن وصفي ، أنا المرأة المراوغة التي تجيد فن الحوار والإقناع بطريقة ملفتة حين يكون الحديث في الأحوال العامة والتربية، المرأة البسيطة التي لا تجيد ترتيب الكلمات وتعاني من قلة تدفق المعاني إلى ذهنها بين يدي حضورك الناضج الهادئ الصاخب ، لا تستغرب فأنت تملك جميع المتناقضات حين تنظر إليّ تلك النظرة التي لا أميز معناها ، ولا أفهم قصدك منها وبالأخص حين ترفقها بابتسامة ناعمة.

ابتسمْ فأنت هرمون السعادة، والسر الذي لن أبوح به لأحد مهما طال بي الزمن، حتى لو لم تدرك ذلك. دعنا من هذا الآن وهيا بنا لنتابع المسير، فكلما اقتربنا أكثر من الشاطئ ستدرك طبيعة أهل هذه المدينة أكثر فأكثر، سأخبرك شيئًا ليس بسرّ، إن هذه المدينة لا تنام أبدًا، وهذا الكورنيش لا يخلو من البشر لا ليلًا و لا نهارًا، فسكان المدينة ممزوجون برائحة الموج وطعم الملح، مدمنون على - النرجيلة - التي تفوح رائحتها هنا وخصوصًا المعسل، إن رائحته تشعرني بالطمأنينة ربما لأنها دائمًا مرتبطة باللحظات الجميلة، لا تستغرب سيدي فالحديث عن الحب والعشق ممتزج بعرق الفقراء والبسطاء وخصوصًا هنا في الكورنيش الجنوبي حيث ملاذ الفقراء الذين لا يملكون سوى قوت يومهم، ومع ذلك فهم يخلقون لأنفسهم جوًا من الراحة والفرح بين يدي الموج وعلى أعتاب تلك الصخور الثابتة كثبات أرواحهم المنهكة.

أولئك الذين لا يجدون متنفسًا يهديهم أوكسجين الحياة سوى البحر، فهم يرمون وراء ظهورهم كل نكد الظروف وقرف المعيشة الصعبة، نعم قرفها، انظر إلى هذه الوجوه

كيف يأكلها التعب والإرهاق، انظر إلى سماء المدينة وأسواقها وأزقتها لن ترى سوى صورة رمادية خالية من كل المباهج، لذلك يأتي البسطاء والمعدمون إلى هنا هربًا من الموت يأسًا، يلوذون بأمواج البحر محتسين شرابًا ذا لون أسود يملك تأثيرًا عجيبًا على أرواحهم.....

لا تستغرب يا صديقي فالقهوة في الكورنيش الجنوبي لها نكهتها الخاصة حين تشتمّ رائحتها ستدرك ذلك.

قهوة" أبي علي "لا أدري ماذا يضع هذا الرجل داخل قهوته لتغدو أكثر لذة ومتعة، حين تتذوقها ستشعر أنك دخلت عالمًا من السحر والقداسة، ربما لنسيم البحر تأثير خارق على هذا المشروب المذهل، أهل المدينة يجذبهم هذا الشاطئ وتغريهم نسماته الناعمة الممزوجة بعبق البحر وكبريائه، ويفتنهم تتابع حركة الموج وصبر تلك الصخور وتواضعها بين يدي مياهه التي تضربها كل دقيقة من النهار. إنهم يحاولون جاهدين رمي ما يؤرق خواطرهم للموج علّهم يعودون إلى منازلهم دون كل هذه الأوجاع.

لا تنظر إليّ هكذا ولا تحاول أن تترك يدي لا تجعل كلامي يؤثر على ابتسامتك فمازلت زادي لتحمل الصعاب كما

أنني متمسكة بك كالخائف من الغرق يمسك بكل قوة
بقارب النجاة، أنت نجاتي.

****

الحرشُ

حالمة أنا، أعلم ذلك تمامًا، وأعلم أنك رجل جدي لأبعد الحدود ومتزن لدرجة تبعث على الثورة. ورغم أني منظمة جدًا، لكنني أحب العبثية حين يتعلق الأمر بذلك الجمود المصطنع الذي ترسمه على وجهك حين تراني وحين تخفي نبضك عني وأنا أراقب خفقان صدرك المتسارع كلما حدثتك عما يجول بخاطري. الثورة يا سيدي تقضي على ذلك الجمود المزروع فيك، أم أنك قد استسلمت لفكرة أنك كبرت في العمر وما عدت رأيت جمال مقلتيك حين يمر ذكري في مخيلتك؟ أعشق هذه الابتسامة التي ترتسم على وجهك كلما ازددتُ طفولة، ترى أيكون قدري أن أعيش طفولتي مرتين؟

مرة أعيشها مجبرة كمرحلة يمر بها كل إنسان خلقه الله على هذه البسيطة، ومرة أخرى أعيشها معك هنا على الكورنيش الجنوبي فتُكتب لي لحظات ما حلمت أن تمر في حياتي يومًا وأنا بقربكما أنت والبحر -ساحرين تتقنان فن العقد، ويعجز أكبر العرافين عن إنقاذي من

سحركما، هيا سنزور الحرشة التي لا يضاهيها جمال إلا حضورك العذب أعلم أن الوقت خريف، كل شيء يوحي بالحياة والهدوء، جمال يدهش الأبصار وأدرك أنك مغرم بالطبيعة... المكان صخرة مرتفعة مقابلة للبحر يحيط بها الشجر تجلس لتتأمل كل شيء وكأنك تتعرف ما خلق الصانع لأول مرة تراقب بدهشة ودقة

الأشجار في تلك الحرشة فارعة الطول، كهيفاء تتمايل ،نسمات البحر العليلة، العصافير تصدر أجمل سمفونية يعجز عن إبداعها أكبر مؤلفي الموسيقا أشعة الشمس الذهبية تطل من بين الأغصان تهدي الأرض الدفء بينما تنعكس أشعتها على الورق الأصفر ، فيبدو وكأنه قطع صغيرة من الذهب اللامع، كل شيء هادئ هذا الصباح سوى بعض النبض والشوق لنور يكسو محياك وندف ثلج تزين سوالفك وغرتك ،أو ربما لأحلام طفولية أعشق أن أعيشها معكما أنت وهذه الحرشة كم تشبهك هذه الطبيعة ، تلك البهية المتعجرفة المغرورة لا يثنيها تقلب المناخ عن الزهو والعلو ،كما لا يؤثر في جمالها وبهاء طلتها عواصف الشتاء

كيف لهذه الأشجار أن تقف بشموخ أمام الريح ؟! ألا تشعر بالقشعريرة حين تجتاحها الريح وكأنها مغتصب قاتل ؟!

ثم إنها تبقى ثابتة الجذور، تعود لتلد من جديد في الربيع، كأن الشتاء ما مر عليها قط، كذلك أنت تتورد كلما نظرت إليّ أو مررتُ بخاطرك... ذلك الموج المتتابع كل ثانية يضرب الصخر بلطف أحيانًا وبقوة وبقسوة أحيانًا أخرى، لا يكل ولا يمل يخرج زبده تارة وخيراته تارة أخرى الأمواج والصخر الذي يستقبل رذاذها وإعصارها بحب وكأنه عاشق ملهوف، ابتسم أحبها هذه الابتسامة المستنكرة....

فلا شيء هنا يدعو للخمول الحياة نابضة رغم الخريف الذي يعري كل شيء حتى الأرواح، في هذا المكان تتوحد مع الطبيعة فتفهم تمامًا معنا أن يكون الصانع متقن .

****

بسمةُ بحرٍ

تحبني إذن اقترب أهمس لك....
الصباح سيد أنيق ويكون أكثر أناقة عند البحر ، صوت الصيادين وسناراتهم ... بندقيات الصيد وبزات الغطس الأنيقة
تستغرب وأنت تراهم، ترى ما سر العشق الكبير بينهم وبين البحر، ولكن ما يجعلك أشد حيرة العلاقة القوية التي لم يستطع أحد رغم مرور الزمان أن يفصم عراها الوثيقة بين الموج والصخر ، رغم الاختلاف الشديد في ماهية كل منهما الموج رقيق ناعم صيفًا كفتاة مراهقة بلغت الحلم توًا يمشي بتؤدة ورقة يتمايل ويغنج بمحبة ويقبل الصخر بكل عذوبة ورغم مرور الزمان لا يكبر ولايشيخ صحيح أنه يغضب ويثور ويعربد أحيانًا إذما باغتته رياح الشتاء العتية فيضرب الصخر بقسوة ولؤم ، ولكنه يعود في الربيع ليلثمه بحنان ....ويغني له أجمل الأغاني يصدر أصواتًا كمناغاة طفل في عامه الأول ، يتتابع نحو الصخر كتتابع الأفكار في عقل كاتب مهووس يخط

الخطوات الأولى لراوية يريد أن يسجلها ضمن الروايات المرشحة لنوبل .أما الصخر ... فمن المستحيل على مساحيق التجميل التي في الدنيا جميعها أن تخفف من التجاعيد والنتوءات التي تملأ وجهه كعجوز شمطاء كانت في صباها شديدة القبح ... والأغرب من هذا أنك حين ترى الصخر كيف يستقبل الموج بكل محبة وبهجة وترى كيف يضحك له رغم أن الموج يغير ملامحه كل يوم يأكل شيئًا من كينونته ومع ذلك الصخر ثابت لا يغير معتقده يحب الموج ويعشقه إن الصخر يعلم كل من يمر صباحًا على الشاطئ أن المحبة والعشق لا تحتاج إلى وجه جميل بل تحتاج قلبًا يتحمل تقلبات المحبين وأمزجتهم ، لذلك لا ترى الصخر أبدًا يهين الموج أو يخذله رغم قوته وصلابته ، رغم الكبرياء والعنفوان هو دائمًا يحتضن الموج ويعطيه محبته ورعايته دون أن يسأله لماذا يفعل ذلك ؟؟ ما زلت تظنني طفلة أكتشف الحياة ومع ذلك أبتسم فالأطفال يسعدهم ويطمئن خاطرهم الابتسامة.

****

الشمسُ

ليس من الصعب على الشمس أن تنشر أشعتها الذهبية كل صباح فوق قمم الجبال وعلى ضفاف الأنهار، ثم تغازل موج البحر فيبدو كرجل في منتصف العمر بدأ الشيب يتسلل نحو غرته، مرت صبية بيضاء أمامه فتلألأت عيناه حين غمزته وأرسلت له قبلة مع النسمات،
الشمس لا يصعب عليها أن تزور بيوت الأغنياء صباحًا فتتسلل من خلال النوافذ لتدغدغ جسد شاب قد نام توًا بعد سهرة طويلة أمام شاشة هاتفه النقال وقد حظي بفتاة ذات ملامح جذابة وعينين ساحرتين وعدته أن تراه قرب ضفة النهر فصحا باكرًا، وارتدى قميصًا من ماركة زارا وسروالًا من صنع فيرزاتشي
وساعته الرولكس، ثم اقتاد سيارته واتجه نحو ضفة النهر
النهر ذلك العاشق الذي يسير نحو الهاوية لا يثير فضوله تواعد العشاق فوق ضفتيه ولا الأسرار التي تقذفها الصبايا مع المياه كلما هجر إحداهن حبيبها زاد منسوب مياهه، كما أن النهر لا يهتم بمن تشب في أحشائهم نار

عند سماعهم نبأ فقد عزيز فيرمون بأنفسهم بين أحضانه علّ قلوبهم تفتر فترتاح أرواحهم، حينها فقط تداعبهم مياهه بعذوبة ثم تحملهم لبر الأمان ...

أشعة الشمس أيضًا تدخل بيوت الفقراء فتهدي وجنتي شابة لون الجلنار وشفتيها لون الجوري فتمضي مسرعة إلى النهر دون أن تدرك أن ثوبها المورد قد ذبلت وروده، وحذاءَها قد تشققت مقدمته حيث أنه وحده رفيقها في كل مشاويرها منذ زمن، لم يكن يعنيها سوى أن تصل قبل أن تسبقها إليه واشية متسترة بلباس عرّافة تقرأ المستقبل تخبره أن حبيبته سارقة سرقت شعاعًا من الشمس لتزين نفسها به، الشمس أيضًا أهدت الفتاة هالة من سنا وهجها فلم ير حبيبها منها سوى ضياء يغشى جميع ملامحها ...

الشمس لا تستصعب أن تحيطك بهالة من النور فتبدو منتعشًا مستمتعًا بحرارتها قد صبغتك بسمرة جذابة وغطت تجاعيد وجهك فما بقي منك سوى برق يلمع من عينيك كلما نظرت إلي بعثت ابتسامة تودي بي نحو الهاوية فأقترب منك وقد طغت عليك رائحة البحر فجملتك وفي غفلة من عقلي غمزتك وأهديتك قبلة .

هواجسُ محبةٍ

ماذا أصنع بهذه المضغة التي تسكنك مني؟ أحاول جاهدة انتزاعها وكلما حاولت نزعها تؤلمني الجهة اليسرى من صدري ، كيف السبيل لانتزاعك من دمي ، دمي ذلك العبد المخلص لك ، يلهج بذكرك ، يسيطر على كل جزء يمر به من ذلك الجسد المرهق بك ، لا أريد أن أجهضك ، أريد أن ألد بك ولادة طبيعة بدون أي جروح أو ندوب ، علك إن كبرت وتعلمت السير والجري خرجت من مسامات جلدي رشحًا خفيفًا ناعمًا دون أن تترك أي أثر فوقه، أو ربما أحتضر بك ، ألدك من حمل كاذب ، أتخلص منك كما يتخلص الجرّاح من عضو زائد انتهت صلاحيته ، أو ألدغك كعقارب حصلت على بيوضها توًا ، أو كلبوة سئمت زئير أسد عاجز التهمك ، لا لا سأحتضرك كأنثى إنسان نزفت دمعها حتى استنزفته ، فخاصمها دمها ولم يعد يجري في عروقها.

****

و تقولُ حبيبتي....

أراك وأنت تضحك تهز رأسك ، تقول :ما لهذه الأربعينية لا تكبر ،أرى ابتسامتك كيف تشرق كلما مررت في ذاكرتك ، ألمح طيفي وقد خبأته مخافة أن يعلم الناس أنك متعلق بطيف أنثى العطر ، تهمس لخيوط الشمس الأولى بسر فحواه أن لا تدخلي حجرتها فيختل لون الأرجوان على وجنتيها ، وترسل بريدك للموج أن رفقًا بجسدها أيها البحر اغمره بلطف ، مازلت تحبني أرى ذلك في صورتك المعلقة على جدار قلبي .

كيف لأربعينية أن تتذوق حروف هذه الكلمة وكأنها فتاة مراهقة ما مرت هذه الحروف على مسامعها قط فتتكور بين جناحيك تكور شرنقة تخاف أن تمد رأسها من بين الخيوط فتتحول لفراشة تطير حول اللهيب فتحترق

حبيبتي

كيف للعمر أن يتوقف عند بضعة حروف تأتي بها نسمات دافئة في يوم شتوي بارد فتغمر الروح بأريج من العنبر، وتنسى تفاصيل السنين

حبيبتي
أيها التائه بي من أين جئت بكل هذا الكرم حتى تلفظت بها هكذا دفعة واحدة، متأكدة أنك لم تعلم يومًا وقع هذه الكلمة على مسامع أنثى لم يتجرأ أحد على فك ضفائرها غيرك
يومها وفي ليلة واحدة عبرت الزمان ... اختتمت الطفولة متجهة نحو النضوج وهي متكورة بين جناحيك، تنضج كما ينضج الثمر حين تلفحه حرارة الشمس في يوم صيفي شديد الحرارة
حبيبتي
تقولها وتنزع غطاء الحلم فتتركني عارية منك ، من سمح لك بالغياب ، فمنحك صك غفران عن كل قبلة تهديها عيني لخدي في الغياب ...
كيف منحوك صك غفران وأنت من سمح للبرد بالتغلغل فيّ والمبيت في ضلوعي ، اعتدت التدثر بلحاف عينيك ، فأي المحاكم برأتك من ذنب الثلج الهاطل من دمي.

****

محتويات الديوان	
الإهداء	٣
التقديم	٤
لهيب الكتابة	٦
قلم وكاتب	٨
عشق كاتب	١٣
قدس الله سره	١٥
أمل حياتي	١٧
الظل	٢١
حلم في مخيم	٢٣
عنوسة	٢٦
مساواة	٢٨
صخرة	٣١
يوم الزفاف	٣٤
إلى زوج٢	٣٨
قارئة الكف	٤١

ليس الغبي بسيد قومه	٤٣
عبادة	٤٦
رجال	٤٨
لا أتقن الغوى	٥٢
تراجع	٥٥
الموعد المنتظر	٥٨
يوم في حياة طالب ثانوي	٦٣
مضغة في الصدر	٦٨
ضفيرة	٧٠
حنين	٧١
يا أبي	٧٣
القصة شمس	٧٥
عري الغيم	٧٧
رسالة موج	٧٩
الكورنيش الجنوبي	٨٦
الحرش	٩٠

بسمة بحر	٩٣
الشمس	٩٥
هواجس محبة	٩٧
وتقول حبيبتي	٩٨
محتويات الكتاب	١٠٠

تم بحمد الله

جميع حقوق النشر الورقي
و الإلكتروني محفوظة للناشر